هذا هو الإسلام

نظرة ثاقبة حول أسرع الأديان نموًا في العالم

THIS IS ISLAM

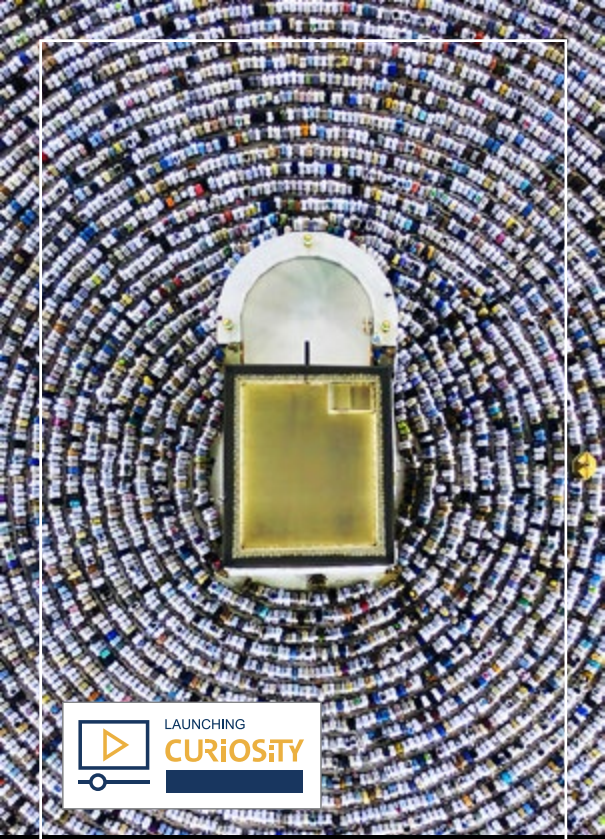

LAUNCHING
CURIOSITY

صورة جوية للمسلمين وهم يتجهون إلى الكعبة التي أمر الله نبيه إبراهيم ببنائها وأمر المسلمين بالتوجه إليها في صلاتهم أينما كانوا.

THIS IS ISLAM

هذا هو الإسلام

نظرة ثاقبة حول أسرع الأديان نموًا في العالم

فهد بن سالم باهمام

- **ألا يهمك أن ترى الصورة** بطريقة أوضح حول أكثر الديانات جدلًا في وسائل الإعلام من حولك؟..
- **ألا يستحق أن تقف لحظة** لتتعرف بعمق على أحد أكثر الديانات انتشارًا وأسرعها اعتناقًا، بحسب الإحصاءات العالمية؟..
- **ألا تجد متعة** في استكشاف ثقافات الآخرين وفلسفاتهم، حول الحياة والدين والكون من حولنا؟..
- **لم لا تعطي نفسك الفرصة** للوقوف على المعلومات الموثقة عن دين الإسلام من مصادرها.. ثم تحاكمها بمنطقك وعقلك؟..

إن كنت ترى ذلك، أو شيئًا منه مهمًا، أو مشوقًا، فقد يساعدك الكتاب لتجد مبتغاك..

موضوعات الكتاب

أسئلة تؤرقنا جميعًا 12

عالمية الإسلام 20

خالق واحد..معبود واحد 55

من هم الرسل على الحقيقة؟ 70

موقف الإسلام من عيسى عليه السلام 78

من هو رسول الإسلام؟ 88

144

من أين جاء القرآن؟

اضغط على الموضوع للانتقال إليه

محمد رسول اللّه
في نظر المنصفين 97

من قصص الرسول
محمد وأخلاقه 108

من أقوال محمد
صلى اللّه عليه وسلم 123

القرآن الكريم
معجزة الإسلام الخالدة 132

من أين جاء القرآن؟ 144

العبادات في الإسلام
ما حقيقتها؟ 161

الأسرة في الإسلام 191

الأسرة في الإسلام

191

اضغط على الموضوع للانتقال إليه

مكانة المرأة في الإسلام 202

قانون الإسلام
في الطعام والشراب 222

الخطيئة والتوبة 237

ثنائية الدين والعقل 244

الإسلام دين السلام 255

بين الإسلام
وواقع بعض المسلمين 267

ثنائية الدين والعقل

244

اضغط على الموضوع للانتقال إليه

أسئلة
تؤرقنا جميعًا

من منا لم يتوقف لحظة في أثناء عمره ليسأل نفسه.. ما الحكاية؟ من أنا؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ما مصيري؟ ما الهدف من كل هذا الوجود؟ ولم كل هذا اللُّهَاث في الدنيا إن كانت النهاية موتًا وترابًا وعدمًا؟

يؤمن المسلمون وأصحاب الديانات السماوية بأن حياة الإنسان دون إيمان بوجود خالق عادل، ووجود حياة أخرى يجد فيها المحسن جزاءه والمسيء عقابه، هي عبث خالص بلا معنى، وهي عذاب وألم بلا عوض، ومغامرة بلا عائد ولا رصيد.

وأنه لا يمكن تفهم تناقضات الحياة والحكمة من شظف العيش والخطأ والصواب والمعاناة إلا عندما نؤمن برب خالق متصرف حكيم عادل، جعل لهذه الحياة نهاية يجد بعدها كل شخص نصيبه حسب ما قدم وفعل..

وحينها فقط يكون الإيمان العميق بكل قيمنا ومفاهيمنا التي ندعو إليها -كالعدل والحب والتعاطف والصدق والصبر والرحمة- حقيقة متسقة مع النفس.. ويكون للتحدي معناه، وللإنجاز طعمه، وللصبر حلاوته.

ونجد أن القرآن الكريم -كتاب المسلمين المقدس- يشير إلى ذلك، فقد حكى الله لنا فيه عن أهل العقول والتفكر، فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران: ١٩١).

لا يمكن تفهم تناقضات الحياة والحكمة من شظف العيش والخطأ والصواب والمعاناة إلا عندما نؤمن برب خالق متصرف حكيم عادل ..

دين الإسلام:

معظم الديانات على الأرض سميت نسبة إلى شخص أو أمة أو بلاد ظهرت فيها هذه الديانة، فالمسيحية أخذت اسمها من السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، واليهودية نسبة إلى قبيلة يهوذا، والبوذية نسبة إلى مؤسسها بوذا، والهندوسية نسبة إلى الهند، وهكذا..

أما الإسلام فإنه لا ينتسب لرجل خاص، ولا لقبيلة، أو عرق، أو أمة، وذلك لأنه ليس خاصًا بأمة من البشر حتى ينسب لها، وما ابتدع من تلقاء بشر حتى ينسب له، وإنما سمي فقط الإسلام.

معنى كلمة الإسلام:

عندما نعود إلى أصل كلمة الإسلام في اللغة العربية، فإنه يشتمل على عدد من المعاني تدور بين التسليم، والخضوع، والطاعة، والإخلاص، والأمان، أو الطمأنينة.

الإسلام: هو التسليم والطاعة الكاملة للرب الخالق المالك، والتحرر من كل أنواع العبودية لغيره.

وهذا هو المعنى الذي جاء تأكيده في القرآن في عدد من الآيات.

فيخبرنا القرآن: أنّ من توجه إلى اللّه بقلبه وكل جوارحه، فخضع وسلّم له، وامتثل الأوامر والنواهي، فقد تمسك واستوثق بحبل النجاة الذي لا ينقطع، ففاز بكل خير، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ٢٢).

> **كلمة الإسلام في اللغة العربية، تشتمل عددًا من المعاني تدور بين التسليم، والخضوع، والطاعة، والإخلاص، والأمان، أو الطمأنينة.**

فالإسلام إذن هو العبودية الكاملة لله، والحرية من الخضوع والعبودية لغيره. والمسلم هو الإنسان المخلص في عبادته، والذي يعيش السلام الداخلي، وينشر السلام في من حوله.

ولكن هل ذلك ما جاءت به كل الرسل؟

الإسلام دين جميع الرسل:

يقرر القرآن أن جميع الأمم في العصور المختلفة قد بُعِثَ إليها رسولٌ يعلمها دين الله، وجاء الخطاب في القرآن لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، فجميع الرسل جاؤوا بالدين الحق، وهم لا يختلفون في رسالة الإيمان وأصول الأحكام والأخلاق.

والإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام هو امتداد للدين الذي جاء به جميع الرسل؛ فالقرآن يأمر المسلمين بأن يؤمنوا بما آمن به الرسل السابقون؛ كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وعيسى، كما قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

ومن الملفت أن القرآن يحكي لنا وصية إبراهيم أبي الأنبياء لبنيه، ومثله يعقوب لأبنائه عند احتضاره بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢).

فهذا الدين امتداد لدين أنبياء الله جميعًا، فالعقيدة واحدة لا تتغير في أصلها الحقيقي، وإنما التغير في الشريعة وتفاصيل الأحكام بما يتناسب مع أحوال العصور المختلفة، إلى أن بُعث الرسول الخاتم محمدﷺ ليقرر الشريعة الخاتمة للبشرية جمعاء.

ومن هنا يقرر القرآن بوضوح أن الدين واحد وهو الإسلام، وأن الاختلاف الذي نشاهده بين أهل الديانات السماوية في جوانب الاعتقاد ما هو إلا تحريفات أبعدتهم عما جاءت به رسلهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩).

الإسلام لا ينتسب لرجل خاص، ولا لقبيلة، أو عرق، أو أمة، وذلك لأنه ليس خاصًا بأمة من البشر حتى ينسب لها، وما ابتدع من تلقاء بشر حتى ينسب له، وإنما سمي فقط الإسلام.

عالمية الإسلام

من العجيب أنه لم يرد في القرآن ذكر لفظ (العرب) مع أنه نزل بلغتهم، ورسول الله محمد بعث فيهم، ونجد العرب اليوم أقلية بين المسلمين، بل لا يشكلون إلا أقل من ٢٠٪ من تعداد المسلمين، وأكبر دولة إسلامية هي إندونيسيا في أقصى جنوب شرق آسيا، بل إن الأقلية المسلمة في الهند وحدها يقارب تعدادها قرابة ضِعف أكبر دولة عربية.

جاء دين الإسلام رحمة وهداية لكل الشعوب باختلاف ثقافاتها وأعراقها وعاداتها وبلدانها، كما جاء في القرآن: ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

والإسلام يقدم رؤية للتنوع البشري بطريقة لم يعرفها نظام آخر، ولم تعهدها شعوب الأرض.

ولنتأمل هذا التوجيه القرآني الذي لا يخاطب به العرب فقط ولا المسلمون فقط، بل هو خطاب إلى البشرية جمعاء بكل أعراقها ومذاهبها، يقول الله في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وبهذا يؤكد القرآن أن جميع البشر مهما كانت ألوانهم وأعراقهم هم من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، وأن الاختلاف والتنوع الذي بينهم ليس للتفضيل، وإنما للتعارف والتشارك والتعاون، ولكن الفضل والتكريم يكون لمن عبد الله واتقاه.

بل يلفت القرآن انتباهنا إلى أن اختلاف ألوان الناس وأشكالهم وتعدد لغاتهم وثقافاتهم من نعم الله وآياته وعجائب خلقه في هذا الكون، وجعلها مقارنة في عظمتها وأهميتها لخلق السماوات والأرض، وأنه لا يتنبه لذلك ويعتبر به إلا أهل العلم والتفكر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

الإسلام يقدم رؤية للتنوع البشري بطريقة لم يعرفها نظام آخر، ولم تعهدها شعوب الأرض.

وفي الوقت الذي كان أعظم بند وأوله في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يقرر تساوي الناس في الحرية والحقوق والكرامة، إنما أقر رسميًا عام ١٩٤٨م، وبدأ تطبيقه بعد ذلك، فإن رسول الإسلام محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ عام كان قد أعلنها مدوية، ودشن عهدًا جديدًا للبشرية حينما قال وهو يخطب في الناس: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى» (أحمد ٢٣٤٨٩).

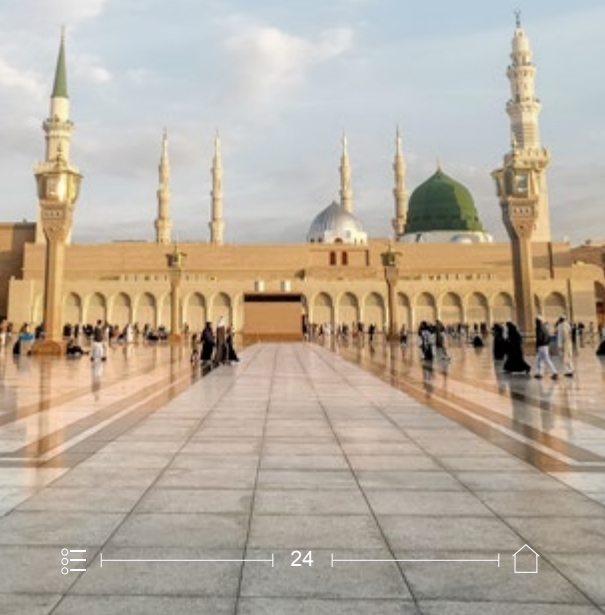

٦٣٠م

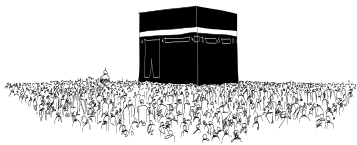

محمد رسول الإسلام

«يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»

١٩٤٨م

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الذي يقر تساوي الناس
في الحرية والحقوق والكرامة

العناية بالبيئة جزء من الإيمان:

اعتبرت بعضُ الفلسفات الإنسانَ سيدًا مطلقًا لهذا الكون، يتصرف فيه بمقتضى مصلحته ورغباته، بلا حسيب أو رقيب، ولو أدى ذلك لإفساد أجزاء من الكون، أو هلاك أنواع من المخلوقات، وعلى النقيض من ذلك بعضها لم يجعل للإنسان أي مزية على غيره، فما هو إلا نوع من ملايين أنواع المخلوقات، فكيف ينظر الإسلام لعلاقة الإنسان بالكون؟

تقوم نظرة الإسلام لطبيعة علاقة الإنسان بالكون على تصورات إيمانية ونظرية، وتنتهي بأحكام تفصيلية لضبط العلاقة مع الإنسان، والحيوان، والأرض، ومصادر الطبيعة.

وأول ما يلفت نظر الباحث في فلسفة تلك العلاقة: التوازن الذي يقرره القرآن، فالله قد شرف الإنسان وميزه عن بقية المخلوقات، كما أخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ (الإسراء:٧٠) وسخر له الكون والمخلوقات من حوله؛ لينتفع بها، ويرعاها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ - وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

(إبراهيم: ٣٢-٣٣)، فليس الإنسانُ مجرد نوع من ملايين المخلوقات الأخرى لا مزية له على غيره، بل هو مخلوق مشرف كريم، ذُلِّلت له الطبيعة لينتفع بها، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩).

ولكنه يؤكد لنا في المقابل أنه ليس السيد المطلق لهذا الكون، يصنع فيه ما يحلو له، وأن تلك المكانة والتميز عن المخلوقات لا تعطيه الحق في إفساد الكون، وإهدار موارد الطبيعة، فالمالك هو الإله الخالق، ودور الإنسان ومكانته إنما تكمن في أن الله (استخلفه) في الكون، بمعنى أنه جعله وصيًا، له حق الانتفاع والاستفادة، وأمره بالسعي للتطوير والتنمية، بلا ضرر أو إفساد للإنسان، أو غيره من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١)، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

وأقرت الشريعة الإسلامية لتأكيد ذلك مئات القوانين والتوجيهات التفصيلية، لضبط تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسان والكون من حوله، **ومن ذلك على سبيل المثال:**

١. العناية بالحيوانات:

جاءت الكثير من المقولات عن محمد ﷺ تدعو لرعاية حقوق الحيوان، وترتب الأجر العظيم في الآخرة على الإحسان إليها، وتنهى عن الإيذاء، وتتوعد بأشد العقوبات الإلهية عليه.

وفي حين إن أول جمعية عنيت بحقوق الحيوانات أنشئت في بريطانيا عام ١٨٢٤م باسم الجمعية الملكية لحقوق الحيوان، وأول قانون عرفه العصر الحديث يجرم الاعتداء على الحيوانات أقر في بريطانيا عام ١٩٤٩م، فإن الإسلام قبل أكثر من ١٤ قرنًا حرَّم الاعتداء على الحيوانات وجرَّمه، وذكر له أمثلة كثيرة في نصوص متعددة عن النبي محمد ﷺ؛ كتحريم تجويع الحيوان، أو تعذيبه، أو تحميله فوق طاقته، أو اللعب بطريقة تؤذيه، أو حتى ضربه على وجهه! وغير ذلك من الأحكام المشهورة في كتب الفقه الإسلامي.

ولعل القارئ يدرك إلى أي مدى اعتنى الإسلام بالرفق بالحيوان عندما يَطَّلِع على قول محمد ﷺ وهو يخبر الناس: «بينما كلب يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به» (البخاري ٣٢٨٠).

حرم الإسلام تجويع الحيوان أو تعذيبه أو تحميله فوق طاقته أو اللعب بطريقة تؤذيه عام ٦٣٢م

أول جمعية لحقوق الحيوانات عام ١٨٢٤م

أول قانون لتجريم الاعتداء على الحيوانات أقر في بريطانيا ١٩٤٩ م

٢. العناية بالنباتات:

حث الإسلام على العناية بالنبات والزراعة، سواء كان ذلك لمصلحة نفسه، أو غيره من البشر والمخلوقات في هذا الكون!

ومن ذلك ما يخبرنا به محمد ﷺ بقوله: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة» (البخاري ٢١٩٥).

بل إن النبي الكريم يدعو المسلم في أحلك الظروف وأشدها إلى أن لا يدخر جهدًا في العناية بالبيئة، وتطوير الأرض وتنميتها بالزراعة، حتى ولو تيقن أنه

لن يستفيد منها، حيث قال: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (أحمد ١٢٩٨١).

فجعل عمارة الأرض وتطويرها من المقاصد والعبادات في أحلك الظروف وأشدها، لا يصرف عنها شيء مهما عظم.

٣. العناية بمصادر الطبيعة:

أكد الإسلام على المحافظة على البيئة، وعدم إهدار مصادرها، أو تلويثها وإفسادها، وقدم برنامجًا متكاملًا للناس، يقوم على مبدأ (الوقاية قبل العلاج)، ومن ذلك: التأكيد على النظافة الشخصية والعناية بتفاصيلها، والمحافظة على موارد الطبيعة، والاقتصاد في استخدامها، وتجريم إفسادها أو تلويثها، ومن أمثلة ذلك:

- **حرم الإسراف** في استخدام موارد الطبيعة، وعلى رأس ذلك الماء، ولو بقصد التعبد لله في الوضوء (هو غسل أعضاء محددة قبل الصلاة).
- **منع أصحاب القوة** والنفوذ من احتكار مصادر الطبيعة بما يؤدي إلى الضرر على الآخرين، فحرم احتكار الماء (كمثال للمصادر الطبيعية) والنار (كمثال للطاقة) والكلأ (كمثال للغذاء)، فقال: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ، والماء، والنار» (أبو داود ٣٤٧٧).
- **نهى عن كل ما يفسد** البيئة من حولنا، ومن أمثلة ذلك النهي عن البول في الماء الراكد؛ لأنه سيلوثه، وعن قضاء الحاجة في أماكن الظل والطرقات باعتبارها أماكن يسلكها الناس، أو يركن إليها المارة للراحة من وعثاء السفر، وعناء السير.

وما هذه إلا أمثلة يسيرة غير مستغربة من دين يعتبر رسوله الكريم تطهير البيئة من القاذورات، والمشاركة في الإصلاح بإماطة الأذى عن الطريق، ليست عملًا صالحًا فقط، بل جزءًا من حقيقة الإيمان، إذ قال: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (مسلم ٣٥).

العناية بالبيئة والمساهمة في تطهيرها من التلوث جزء من الإيمان كما يقول رسول الإسلام.

دين العلم:

لم يكن مصادفة أن أول كلمة من القرآن نزلت على النبي ﷺ هي: ﴿اقرأ﴾، فقد جاءت التأكيدات في القرآن الكريم وفي مقولات الرسول محمد ﷺ على دعم الإسلام لجميع أنواع العلوم النافعة للبشرية، حتى صار الطريق الذي يسلكه المسلم طلبًا للعلم والمعرفة هو طريقه وسبيله إلى الجنة، كما قال ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» (مسلم ٢٦٩٩).

وفي مقارنة عجيبة يوضحها الرسول الكريم بقوله: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (الترمذي ٢٦٨٥).

ولهذا لم يعرف الإسلام حربًا بين الدين والعلم كما في ديانات أخرى، ولم يحاكَم العلماء على آراء واستنتاجات علمية طبيعية كما في العصور المظلمة، بل على العكس تمامًا كان الدين هو نبراس العلم، وهو الداعم له، والداعي إليه، تعلمًا وتعليمًا، وكانت المساجد منارات لأنواع العلوم والمعارف، ما دام فيها الخير للبشرية.

ولا نستغرب حينئذ أن يكون جل علماء الطبيعة المسلمين ابتدؤوا حياتهم بتعلم القرآن وحفظه، والتفقه في الدين، ثم أبدعوا في مجالاتهم وتخصصاتهم الدقيقة.

فقد كرَّم الله قدر العالم المعلم للناس الخير، وتَوَّجَه بأرقى درجات التتويج، حتى قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» (الترمذي ٢٦٨٥).

LAUNCHING
CURIOSITY
CLICK HERE

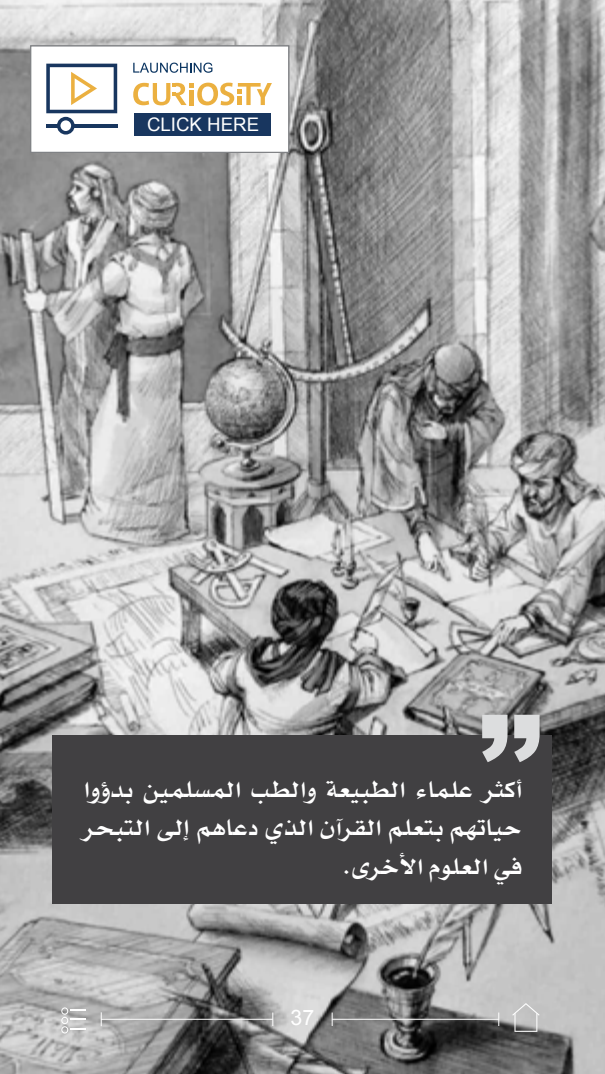

أكثر علماء الطبيعة والطب المسلمين بدؤوا حياتهم بتعلم القرآن الذي دعاهم إلى التبحر في العلوم الأخرى.

من علماء المسلمين:

١. **الخوارزمي** (٧٩٠-٨٥٠ بغداد) عالم الرياضيات والهندسة والفلك، ومؤسس علم الجبر، والذي ترجمت كتبه باكرًا للثقافات الأخرى، بل دخلت الكلمات العربية، مثل الجبر Algebra، والصفر Zero إلى اللغات اللاتينية بسببه.

٢. ابن الهيثم (٩٦٥- ١٠٤٠القاهرة) عالم الفيزياء والهندسة، الذي ارتبط بالجامع الأزهر، وقدَّم أعظم الإسهامات في علوم البصريات، وتنسب إليه مبادئ اختراع الكاميرا، ويثبت أكثر الباحثين أن كلمة كاميرا المنتشرة في أكثر اللغات ما هي إلا كلمة (قُمرة) العربية، وهو اسم غرفة الضوء التي اخترعها ابن الهيثم.

٣. البيروني (٩٧٣-١٠٤٨ خوارزم) عالم الفلك الكبير، وهو أول من قال بأن الأرض تدور حول محورها، وأشار إلى جاذبية الأرض.

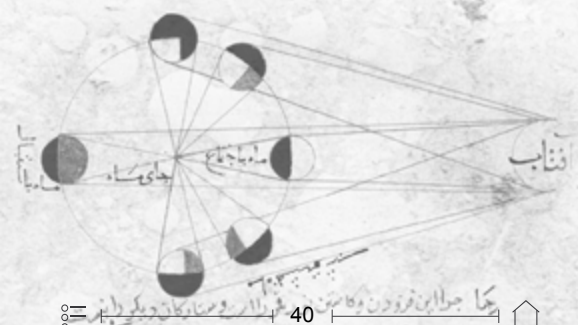

٤. **الزهراوي** (٩٣٦ - ١٠١٣ الأندلس) الطبيب والجراح المسلم، الذي تطورت الجراحة على يديه، حتى إنه ابتكر ووصف مئات الآلات الجراحية في كتبه، وصارت كتبه مصدرًا رئيسًا في الطب والجراحة لقرون بعد ذلك بشتى اللغات.

٥. ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧ بخارى) المعروف في الأوساط العلمية (Avicenna) الطبيب والفيلسوف الشهير، الذي سبق عصره في وصف كثير من الظواهر الطبية، ووصف علاجها، كما أعلى من مكانة التجربة العلمية في بحوثه ودراساته الطبية التي أوصلته لنتائج دقيقة سبق بها عصره وبقيت حتى يومنا هذا، ويظهر ذلك جليًا في كتابه (القانون) الذي بقي المرجع الرئيس في تعلم الطب لسبعة قرون، واستمر يدرَّس في جامعات أوروبا حتى أواسط القرن السابع عشر.

وقد كان بعد اشتهاره بالطب يعالج المرضى بالمجان كلَفْتَة إنسانية منه، وشكرًا لله على نعمة العلم والمعرفةً.

٦. ابن النفيس (١٢١٣-١٢٨٨ دمشق) كان من علماء الشريعة والفقه، وفي الوقت نفسه كان من أعظم علماء الطب، وعلم وظائف الأعضاء في التاريخ، وهو أول من اكتشف بدقة الدورة الدموية الصغرى ووصفها، ووضع عددًا من النظريات الطبية التي مازال يعمل بكثير منها حتى الآن.

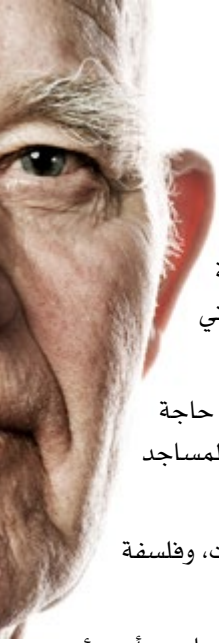

الإسلام يشمل جميع جوانب الإنسان:

يتعجب كثير من الناس إذا علموا أن الإسلام ليس مجرد طقوس وأعمال وتوجيهات خلقية عامة، كما في كثير من الديانات التي عهدوها.

فالإسلام على الحقيقة ليس حاجة روحية يمارسها المسلمون في المساجد بالدعاء والصلاة فقط..

وليس أيضًا مجرد آراء، ومعتقدات، وفلسفة يؤمن بها أتباعه فقط..

كما أنه ليس مجرد نظام اقتصادي، أو بيئي متكامل..

وليس قواعد، ونظريات لبناء النظام والمجتمع فقط..

وليس كذلك مجرد حزمة من الأخلاقيات، والسلوكيات في التعامل مع الآخرين..

ولكنه منهج متكامل لجميع جوانب الحياة، بكل أبعادها وآفاقها، فيشمل ذلك كله وغيره، وهو مع ذلك لا يقيد حرية الناس بقدر ما يُيَسِّرُ عليهم حياتهم، لتتركز الجهود نحو الإبداع والبناء والحضارة، وهي أحد أعظم النعم التي يمتن الله بها على عباده، كما يؤكد القرآن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

> **الإسلام منهج متكامل لجميع جوانب الحياة، بكل أبعادها وآفاقها.**

ولما قال أحد الأشخاص من غير المسلمين -ساخرًا- لأحد أصحاب الرسول الكريم -واسمه سلمان الفارسي-: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ أجابه الصحابي الجليل: «أجل. لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم» (مسلم ٢٦٢).

الدنيا والآخرة:

كان المصريون القدماء يحنطون الميت، ثم يضعون معه كل ممتلكاته الثمينة، ظنًا منهم أنه يحتاج إليها في حياته الأخرى بعد الموت.

وفي المقابل كان أقوام من التبت يقطِّعون جثث موتاهم، ويضعونها في أماكن مرتفعة طعامًا للطيور والجوارح، ومازال الهندوس يحرقون جثث موتاهم؛ لأنها -بحسب اعتقادهم- الطريقة الوحيدة لخلاص أرواحهم.

وما هذه إلا مجرد أمثلة يسيرة لأنواع مختلفة من طقوس تأبين الميت وتوديعه، والتي اختلفت وتنوعت عبر الزمان والمكان بحسب ديانة واعتقاد الناس في ما بعد الموت، وظواهر لعدد من الأسئلة العميقة التي تبحث عن جواب: هل هناك حياة أخرى؟ وما طبيعتها؟ وماذا نحتاج هناك؟

وذلك لأن الموت هو الحقيقة الكبرى التي يتفق الجميع على أنها تنتظرنا جميعًا، بلا استثناء، سواء كنا مؤمنين بحياة أخرى، أم كانت حساباتنا قاصرة على ما نراه ونلمسه بحواسنا.. وسواء كنا مستعدين لتلك اللحظة المصيرية، أم حاولنا تناسيها والتغافل عنها بالكثير من الملهيات والمشاغل.

الموت هو الحقيقة الكبرى التي يتفق الجميع على أنها تنتظرنا جميعًا، بلا استثناء، سواء كنا مؤمنين بحياة أخرى، أم كانت حساباتنا قاصرة على ما نراه ونلمسه بحواسنا.

ويبقى السؤال الذي يقاوم كل أنواع الغفلة والتناسي، ويأبى إلا أن يفرض نفسه مرارًا كلما وقف الإنسان مع نفسه: هل تلك هي النهاية ولا شيء آخر؟ هل وجودنا نوع من العبث؟

سؤال يلح على عقولنا مرارًا ويكرره القرآن علينا بأساليب مختلفة، ويخبرنا في الوقت نفسه عن ندم وتحسر كثير من الناس يوم القيامة لأنهم لم يقفوا مع أنفسهم للجواب عن هذ السؤال ولم يتهيؤوا للرحيل، فيقول بعضهم حينئذ: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، ويقول آخر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (الفجر: ٢٤ ، النبأ: ٤٠).

> **جميع أصحاب الديانات السماوية يؤمنون بالحياة الآخرة، والثواب والعقاب فيها.**

ومن المعلوم أن جميع أصحاب الديانات السماوية يؤمنون بالحياة الآخرة، والثواب والعقاب فيها؛ لأن هذا فحوى ما جاءت به جميع الرسل، ولأن العقل يشهد أنه لا معنى للحياة، ولا للدين، ولا للأخلاق بدون حياة أخرى يكون فيها الحساب، وينال فيها كل إنسان جزاءه من خير أو شر.

ومع هذا فيظن كثير من الناس أن الدين والعبادة لا يمكن أن تجتمع مع كسب المال أو المتعة أو التطور، فالعمل إما للدنيا وإما للآخرة، ولا يمكن أن يجتمعان معًا في وقت واحد، كما لا يجتمع الليل والنهار، فاللحظة إما هنا وإما هناك..

ولا ينتهي عجبهم، بل ويصعب على بعضهم تصديق أن ذلك الحاجز بين العبادة والمتعة مثلًا، أو بين العبادة والمال غير موجود في عقيدة الإسلام.. والرسول الكريم محمد ﷺ يخبرنا أن الإنسان إذا فعل الصواب أيًا كان مجاله وقصد به الخير، فإنه يثاب على فعله في الآخرة، حتى ولو كان ذلك شوكة يزيلها عن طريق الناس، أو حتى لقمة يضعها في فم زوجته! فقال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك» (البخاري ٥٦).

ولما أخبر الرسول الكريم محمد ﷺ أن أبواب فعل الخير متعددة لا تنتهي مثّل بقضية أثارت دهشة أصحابه حين قال: «وفي بضع أحدكم صدقة»، فقال أصحابه: يا رسول اللّه، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال الرسول الكريم: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (مسلم ١٠٠٦).

يؤكد القرآن على التوازن ، ففي الوقت الذي يحض الناس فيه على العبادة ابتغاء الأجر في الآخرة يؤكد على الاجتهاد في الدنيا ابتغاء فضل الله.

ولهذا يلحظ كل من يتعرف على الإسلام منذ اللحظة الأولى حقيقة التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة كما يصورها القرآن، ففي الوقت الذي يحض الناس فيه على العبادة ابتغاء الأجر في الآخرة يؤكد على الاجتهاد في الدنيا ابتغاء فضل الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ٩-١٠)، وهو بذلك مستحق للأجر والثواب ما دام قصد الله بذلك الفعل، والمسلم مأمور بأن يعبد الله باجتهاده في وظيفته وعمله لكسب رزقه وتربيته لأولاده واهتمامه بصحته وبيئته وتطوير مجتمعه كما يعبده بصلاته وصدقته وصومه.

وهذا هو أحد أسرار الاطمئنان النفسي والسلام الداخلي الذي يجده المسلم حين يحس بالتناغم بين حياته وآخرته ومتعته وعبادته فلا تنازع ولا ازدواجية وإنما بناء متكامل يدعم بعضه بعضًا.

ومن هنا يؤكد لنا القرآن شعار المسلم الذي يجمع فلسفة الإسلام في ذلك آمرًا إياه أن يعلنها مدوية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

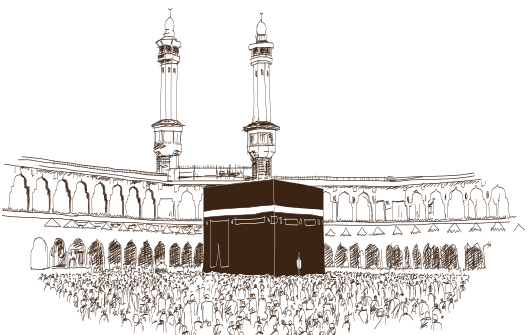

دين التواصل والتشارك:

يعتبر وصف الرحالة المسلم أحمد بن فضلان لأجزاء كبيرة من روسيا أول وصف دقيق وتحليل لواقع حياة الناس وطبيعة المجتمع عرفه العالم عن تلك البلاد.

وذلك أن أحمد بن فضلان قام عام ٩٢١م برحلة عجيبة تعتبر من أهم رحلات التواصل الحضاري في القرون الوسطى، فقد خرج من بغداد -عاصمة العلوم والحضارة في ذلك الوقت- ومر بعدد كبير من البلدان والشعوب ووثق مشاهداته والأحداث التي عاصرها في كتاب حافل نشر لأول مرة عام ١٩٢٣ بناء على نسخة مخطوطة وجدت في روسيا.

وسبب أهمية كتابة ابن فضلان كما يقول ميخائيل كريكتون أن المسلمين في بغداد كانوا مع شدة تمسكهم بدينهم منفتحين على شعوب كانت تختلف عنهم في المظهر والمسلك والعقيدة، وكانوا في ذلك الوقت أقل الشعوب إقليمية وهذا ما جعلهم شهودًا أفذاذًا للثقافات الأجنبية.

Michael Crichton (Eaters of the Dead)

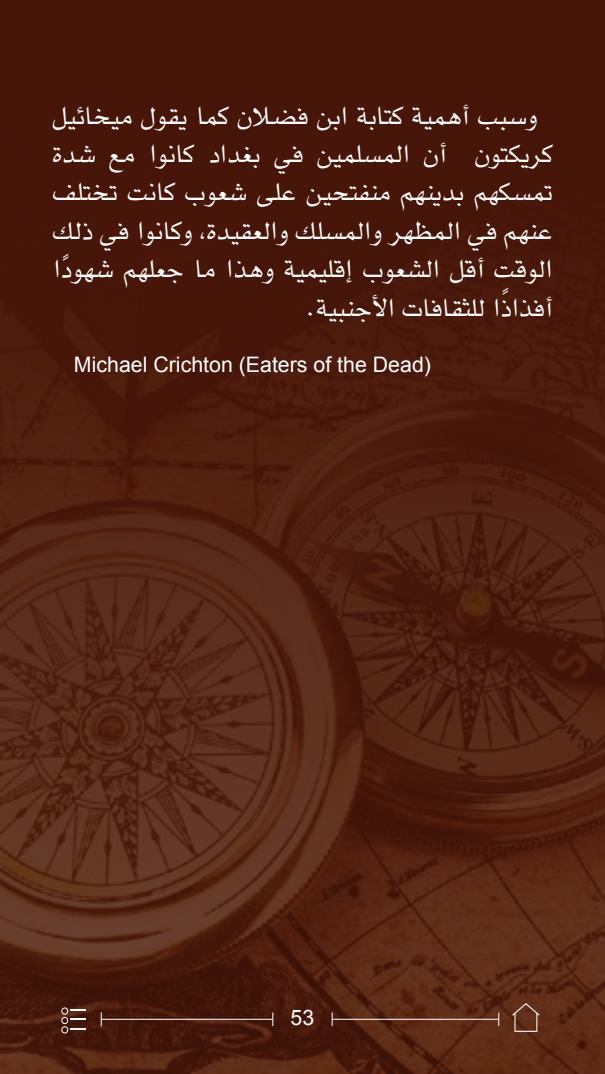

يدعو الإسلام لمشاركة الناس في البناء والحضارة والإصلاح ومخالطتهم والتواصل معهم بأعلى درجات الأخلاق والسلوكيات الرفيعة على اختلاف ثقافاتهم وأديانهم، وينبه إلى أن العزلة والبعد عن الناس ليس طريق الإسلام الصحيح، ولهذا اعتبر رسول الله محمد ﷺ الذي يخالط الناس، ويصبر على ما يصيبه من إيذائهم وأخطائهم، خير من الذي يعتزلهم.

خالق واحد..
معبود واحد

يؤكد الإسلام أن الاعتقاد النظري لا يكفي للدخول في الإيمان، فإذا كان الرب الخالق واحدًا فينبغي أن يكون الإله والمعبود واحدًا.

تعني كلمة (الله) باللغة العربية ثلاث معان مجتمعة:

- **فهي تعني المعبود** الذي يخلص الناس له صلاتهم وصيامهم وتوجه قلوبهم وجميع عباداتهم.
- **والعظيم في ذاته** وصفاته ومجده بحيث تحار العقول في عظمته وتعجز عن الإحاطة به.
- **ومن تتعلق به القلوب** وتحن إليه النفوس فتأنس بذكره وتتلذذ بقربه وعبادته.

ويؤكد القرآن بأنه لابد من تصحيح التصور عن (اللّه) وتنقيته من جميع التحريفات والافتراءات التي تنتقص من جلال اللّه وعظمته..

فاللّه كما يوضح القرآن هو الخالق والمبدع لهذا الكون ونظامه، وكل ما يحصل فيه مهما صغر فهو خلقه وحاصل بمشيئته وتقديره وعلمه، فلا تحمل أنثى من جميع أنواع المخلوقات ولا تلد إلا بعلمه ومشيئته، ولا تنزل قطرة من مطر، ولا يحدث أي تغير في ليل أو نهار، في ظاهر أو باطن، في أي جانب من هذا الكون، إلا واللّه محيط به علمًا وقدرة ورحمة، قال اللّه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت ٤٧)، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام ٥٩).

وله سبحانه من الصفات أحسنها وأكملها وأجملها، فهو القوي الذي لا يُغْلَب، والرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، والعظيم الذي لا يَلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه.

ولما ادعى بعضهم أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع جاء القرآن مفندًا لتلك المزاعم قائلًا بكل وضوح: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (أي تعب) (ق: ٣٨) وأن ذلكً الزعم وأشباهه ما طرأ للعقل إلا بتشبيه الله بما يعرفه العقل من المخلوقات، ولكنه سبحانه الخالق، وما سواه مخلوق، فكيف يشبه المخلوق خالقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

> أشد القضايا وضوحًا في الإسلام وجوب إخلاص العبادة لله وحده دون غيره، وهي دعوة جميع الرسل كما يؤكد القرآن.

وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وما نراه في الحياة منه يُظهر لنا حكمته ولطفه، وكما يخفى على الصغير بعض تصرفات والديه ولا يستطيع فهمها أو تفسيرها لعظم الفارق في قدرة التفكير بينهم فقد يفوت العقل البشري إدراك شيء من حكمة الله في بعض خلقه ومشيئته.

ولا يكتفي الإسلام بذلك حين يقرر أن الاعتقاد النظري لا يكفي للدخول في الإيمان، فإذا كان الرب الخالق واحدًا فينبغي أن يكون الإله والمعبود واحدًا، ولا يصح توجيه شيء من العبادات أو الدعاء لغير الله بل إخلاص العبادة له سبحانه بدون وسيط أو شفيع، فالخالق أعظم من ذلك وأجل.

وإذا كان الملك أو الرئيس في الدنيا لا يمكنه معرفة أصحاب الاحتياج والضعف ثم الوصول إليهم إلا عبر الأعوان والمساعدين والمقربين لتعريفه بأوضاع رعيته ليساعدهم ويأخذ بيدهم، فالله سبحانه يعلم الجهر وما يخفى، وهو القوي المالك القادر، وكل الكون بيده وتحت تصرفه، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.. فلماذا التوجه لغيره؟

ويقرر القرآن أن اطمئنان القلب وانشراح الصدر لا يتم ولا يكتمل ما لم يلتجئ المسلم إلى ربه طارحًا حاجاته بين يديه وهو القادر العظيم المحب لعباده اللطيف بهم القريب منهم الذي يفرح بدعاء عباده له ويكرمهم ويجازيهم بقدر التجائهم وإخباتهم إليه، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٨)، وقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ • أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ

الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل ٦٢-٦٣).

ولهذا فقد كانت أشد القضايا وضوحًا في الإسلام وجوب إخلاص العبادة لله وحده دون غيره، وهي دعوة جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، فلا رسول ولا ملك ولا ولي مهما بلغ صلاحه يمكن أن يُصرف إليه شيء من أنواع الدعاء بحجة أنهم وسطاء بين الله وعباده..لأن الجميع في النهاية مخلوقات الله وعبيد له، والله قريب من عباده يسمع كلامهم، ويجيب دعاءهم متى ما أخلصوا العبادة له سبحانه.

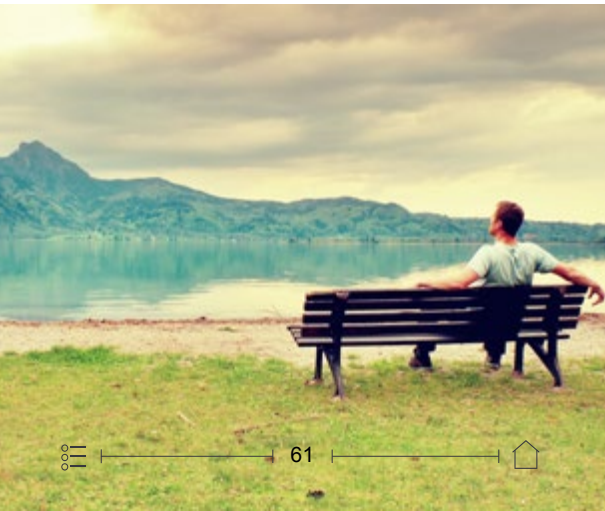

وكيف لا يجد طعم السعادة والأنس من أخلص التوجه إلى الله، فلا تشتت ولا اضطراب، فالمالك واحد والخالق واحد والمعبود واحد، والتوجه والالتجاء إنما يكون إليه سبحانه دون ما سواه.

وهذا هو معنى سورة قصيرة من أعظم وأشهر سور القرآن وهي سورة الإخلاص.

يؤكد القرآن أن كل شيء يحصل بعلم الله وقدرته، حتى قطرات الأمطار وتساقط أوراق الأشجار.

سورة الإخلاص

يأمر الله نبيه محمد أن يعلنها بكل وضوح وكأنه يجيب على سؤال من هو الله؟

- **إن الله واحد** لا شريك له في العبادة.
- **الله هو الذي تعتمد عليه** وتلجأ له جميع الخلائق لطلب احتياجاتها.
- **وأنه منزه أن يكون له ولد** أو أن يكون قد وُلِد فهو الأول الذي ليس قبله شيء.
- **وليس له نظير** أو شبيه في ذاته وصفاته إذ هو الخالق وما عداه مخلوق.

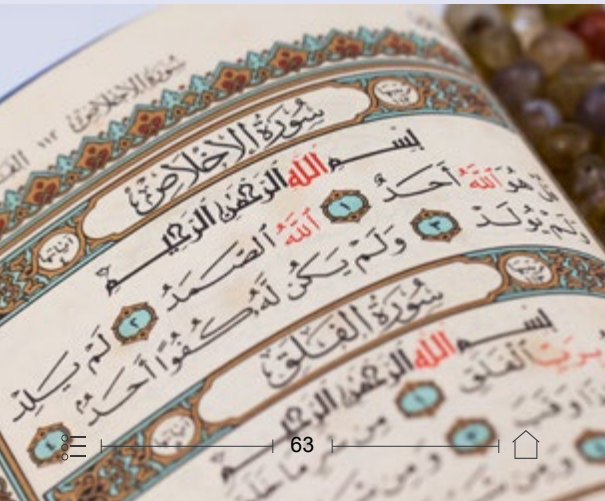

بين قانون الطبيعة وقانون الشرع:

خلق الله هذا الكون الذي نعيش فيه بدءًا بالخلية الصغيرة في أجسامنا وما هو أصغر منها وانتهاء بأبعد المجرات -التي استطاعت أجهزة التقريب رصدها- بدقة متناهية وتكامل وانتظام عجيب لا تصلح الحياة والطبيعة إلا به، ويؤكد كافة علماء الطبيعة أن أي اختلال في هذا النظام ولو كان يسيرًا سيؤدي لا محالة إلى الدمار والخراب.

ويؤمن المسلم أن الخالق الذي أبدع هذا النظام المذهل في دقته وإحكامه هو الذي يعلم الأصلح لخلقه من تشريعات وأحكام ونظام حياة، والدين الذي شرعه هو النظام الوحيد الذي تصلح به حياة البشرية وتنجو فيه من طغيان طرف على الآخر.. وقد قال الله في القرآن مبينًا أن من خلق الكون والبشر هو الأعلم بما يصلحهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

LAUNCHING
CURIOSITY
CLICK HERE

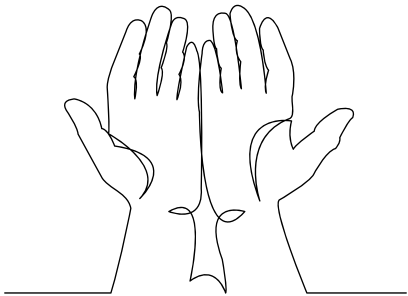

لا كهنوت في الإسلام:

نجد أن كثيرًا من الديانات أعطت مزية دينية لبعض الأفراد على غيرهم، وربطت عبادات الناس وإيمانهم برضى أولئك الأفراد وموافقتهم، فهم -بحسب تلك الديانات- الوسطاء بينهم وبين الإله، وهم من يمنح المغفرة، وربما يعلم الغيب -كما في اعتقادهم- ويجعلون مخالفتهم سبب الخسران المبين.

أما الإسلام فلا يوجد فيه أصلًا وظيفة اسمها رجل الدين، فقد كرم الإنسان وأعلى قدره، فحرره من أي سلطة روحية تكون واسطة بينه وبين الله فأبطل أن تكون سعادة البشرية أو توبتها أو عبادتها مرتبطة بأشخاص معينين مهما بلغوا من الفضل والصلاح.

كرم الإسلام الإنسان وأعلى قدره، فحرره من أي سلطة روحية تكون واسطة بينه وبين الله فأبطل أن تكون سعادة البشرية أو توبتها أو عبادتها مرتبطة بأشخاص معينين مهما بلغوا من الفضل والصلاح.

كما حرره من أي سلطة علمية تزعم أن العلم بالدين خاص بها دون غيرها، فنجد أن القرآن لم يجعل العلم بالدين وفهم القرآن حق لجميع الناس فقط، بل جعله من الواجبات عليهم حيث يأمر جميع المسلمين بقراءة القرآن وفهمه وتدبر معانيه ومن ثم تطبيقه، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٢٩).

فالعبادات والإيمان تكون بين الإنسان وربه، وليس لأحد من الناس فيها فضل ولا وساطة، فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاء العبد ويجيبه ويرى عبادته وصلاته فيثيبه عليها، ولا أحد من البشر يملك حق إصدار الغفران والتوبة، فمتى ما تاب العبد وأخلص لله تاب الله عليه وغفر له، فالله قريب من الجميع متى ما توجهوا إليه ودعوه، كما يقول الله في القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

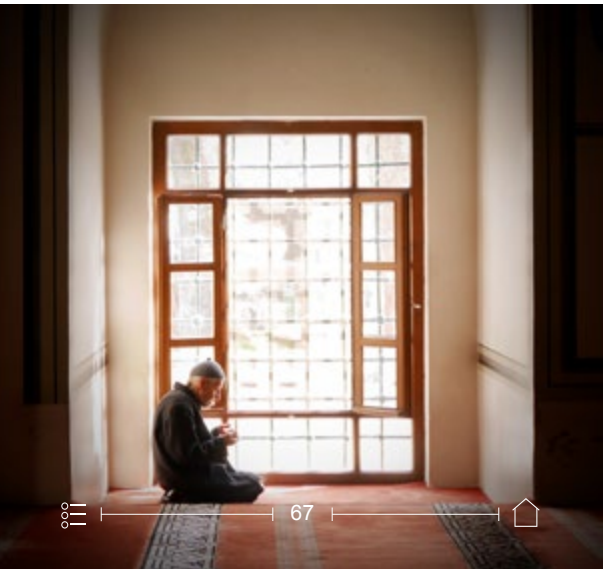

يقرر القرآن أن الله قريب من الجميع متى ما توجهوا إليه ودعوه.

هل هناك طقوس خاصة لدخول الإسلام؟

لا توجد طقوس معقدة لاعتناق الإسلام لمن اقتنع به، ولا يلزم أن يكون ذلك في مكان خاص أو بحضور شخصية محددة، بل يكفيه إذا أراد ذلك أن يتلفظ بالشهادتين عالمًا بمعناها موقنًا بها، منقادًا لدلالاتها، والشهادتان هما:

- **أشهد أن لا إله إلا الله** (أي أشهد وأعتقد أن لا معبود بحق إلا الله، فأعبده وحده لا شريك له).
- **وأشهد أن محمدًا رسول الله** (أي أشهد أن محمدًا رسول الله إلى الناس كافة، مطيعًا أوامره، مجتنبًا نواهيه، وأن أعبد الله وفق شرعه وسنته).

من هم الرسل على الحقيقة؟

خلق الله الناس لعبادته، وأرسل إليهم رسلًا ليعلموهم شرع الله، ويذكروهم بدينه، يعملون في إصلاح دين الناس ودنياهم، ويكونوا قدوة صالحة لأقوامهم، يقاومون الانحراف، ويدعون الناس للطريق الصواب، لكي لا يكون للناس حجة في ترك الإيمان به.. فما حقيقة هؤلاء الرسل؟

ب

بشرية الرسل:

يؤكد القرآن في عدد كبير من الآيات أن الرسل جميعًا بشر اختصهم الله بالوحي والرسالة، فمع وجود التشابه البشري بيننا وبين الأنبياء إلا أنهم على درجة عالية من النقاء والاستقامة، بحيث اصطفاهم الله لحمل رسالته ودينه إلى البشر، كما جاء في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف: ١١٠).

فالرسل جميعًا بشر، يولدون كما يولد البشر، ويموتون كما يموتون، ويمرضون مثلهم، ولا يختلفون عنهم في تكوين أجسادهم، ولا في احتياجاتهم.

ليس فيهم شيء من الألوهية؛ لأن الألوهية لله وحده، ولكنهم بشر يوحى إليهم، أي يصل إليهم أمر الله عبر الملائكة، أو بغيره من الطرق.

وقد عجبت الأمم الأولى من الوحي، فاستنكر الله عجبهم، وبين أنه لا مبرر له؛ لأن ذلك هو الطريق لإيصال هداية الله وتعاليم دينه إلى خلقه، قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ (يونس: ٢).

الوسطية في مكانة الرسل:

اصطفى الله خيرة خلقه لحمل الرسالة، فهم بشر على درجة عالية من الاستقامة والصلاح، وقد وصف القرآن الرسل جميعًا بأنهم مهتدون، ومحسنون، وصالحون، ومختارون، ومفضلون على العالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ • وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى

الْعَالَمِينَ ● وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٤- ٨٧).

وإذا ما وقع أحد الرسل في خطأ، فإن الله لا يقره عليه، بل ينبهه ليرجع عنه، ويتوب منه، ويكون ذلك بسبب الخطأ في الاجتهاد، وليس تجاوزًا متعمدًا لما يريده الله منه.

وهكذا نرى القرآن يصف الأنبياء وصفًا دقيقًا، لا غلو فيه ولا إجحاف، فهم معصومون من الذنوب الكبيرة، ومع ذلك فهم بشر وليسوا آلهة، ولا أبناء آلهة، وليس لهم من خصائص الألوهية والربوبية شيء.

يؤكد القرآن أن الرسل جميعًا بشر اختصهم الله بالوحي والرسالة.

ومما يجلي ذلك ما حكاه الله في القرآن من الحوار الذي سيكون يوم القيامة ليظهر الله به براءة نبي الله عيسى عليه الصلاة السلام من عبادة الناس له: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ - مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦- ١١٧).

ذكر القرآن اسم عيسى عليه الصلاة والسلام معظمًا لشأنه، ومبرئًا إياه من الاتهامات الباطلة ٢٥ مرة، وذكر اسم موسى عليه الصلاة والسلام ١٣٦ مرة، بينما لم يذكر اسم محمد عليه الصلاة والسلام الذي نزل عليه القرآن سوى ٥ مرات فقط.

موقف الإسلام من الرسل:

يظن بعض الناس أن القرآن ما هو إلا قصص رسول اللّٰه محمد ﷺ وأخباره، وتصيبهم الدهشة إذا علموا أن القرآن ذكر اسم عيسى عليه الصلاة والسلام معظمًا لشأنه، ومبرئًا إياه من الاتهامات الباطلة ٢٥ مرة، وذكر اسم موسى عليه الصلاة والسلام ١٣٦ مرة، بينما لم يذكر اسم محمد عليه الصلاة والسلام الذي نزل عليه القرآن سوى ٥ مرات فقط.

وفي حين لا يعترف أكثر أهل الديانات الآن بغير أنبيائهم، ويعادي بعضهم أنبياء آخرين، يجد كل من يقرأ القرآن التأكيد في آيات كثيرة على أنه لا يكون الإنسان مسلمًا حتى يؤمن بجميع الرسل، وأنه لو كفر بواحد منهم، أو شك في صحة رسالته، أو اتهمه بالباطل، فقد خرج من الإسلام، فيؤكد القرآن أن الرسول والمؤمنون به آمنوا بما جاء من عند الله، ولذلك فهم يؤمنون بالله والملائكة والرسل، ولا يفرقون في إيمانهم بين أحد منهم، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

يعرف كل من اطلع على القرآن أن عددًا من سوره سُميت بأسماء الأنبياء؛ كإبراهيم، ويوسف، بل وسمى الله سورة باسم مريم الطاهرة أم عيسى عليهما السلام.

موقف الإسلام من عيسى عليه السلام

يعتبر

يعتبر عيسى عليه السلام من أهم الشخصيات عبر التاريخ، ومن أعظم من قدموا الخير للإنسانية، واختلف الناس في الموقف منه بين من جعله إلهًا، أو ابنًا للرب، وبين من عاداه ورماه بالنقائص والاتهامات الباطلة، فما موقف الإسلام من عيسى عليه السلام؟

١ عيسى من أعظم الرسل:

يؤكد القرآن أن عيسى -عليه السلام- من أعظم الرسل وأجلهم شأنًا، وأن أمه مريم صديقة قانتة عابدة لربها، عفيفة محصنة عذراء، وقد حملت بعيسى -عليه السلام- من غير أب بقدرة الله عز وجل، فخلقه بمعجزة باقية مثل ما خلق آدم من غير أب وأم، كما قال الله في القرآن: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).

٢ يؤمن المسلم بمعجزاته:

كما يؤمن المسلم بالمعجزات التي أجراها الله على يديه، كعلاجه الأبرص والأعمى، وإحيائه الموتى، وإخباره بما يأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم، وكل ذلك بإذن الله سبحانه، وقد جعل الله ذلك دلالة صريحة على صدق نبوته ورسالته.

٣ أُنزل عليه كتاب الله المقدس الإنجيل:

يؤكد القرآن أن الله أنزل عليه أحد أعظم كتبه -وهو الإنجيل- هداية للناس، ونورًا ورحمة، وأنه حصل للإنجيل عبر التاريخ أنواع من التحريف والتأويل.

٤ هو بشر وليس إله:

يؤكد الإسلام أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر من بني آدم، تفضل الله عليه وأرسله لبني إسرائيل، وأجرى على يديه المعجزات، وليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء، كما قال الله في القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(الزخرف: ٥٩).

٥ لم يصلب ولكنه رفع إلى السماء:

عيسى في نظر الإسلام لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفعه الله إلى السماء، فإنه لما أراد أعداؤه قتله ألقى الله الشبه على غيره، فصار شبيهًا بعيسى -عليه السلام-، فقتلوه وصلبوه وظنوه عيسى -عليه السلام-، وأما عيسى فقد رفع إلى السماء حيًا، كما يقرر القرآن: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ● بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨).

شجرة الأنبياء:

أنبياء الله كثيرون وهؤلاء بعض أشهرهم عليهم الصلاة والسلام:

آدم:

أبو البشر جميعًا خلقه الله من تراب، وجعل الملائكة يسجدون له، وأنزل من الجنة إلى الأرض.

نوح:

دعا قومه فكفروا به، فعذبوا بالطوفان، ونجا هو ومن آمن من قومه في السفينة.

إبراهيم:

أبو الأنبياء، وأحد أعظم الرسل دعا لتوحيد الله، وهو أول من بنى الكعبة قبلة المسلمين.

إسماعيل:

ابن إبراهيم -عليه السلام-، ساعد أباه في بناء الكعبة.

إسحاق:

ابن إبراهيم -عليه السلام-، ولد بعد أن بشّرت به الملائكة أباه إبراهيم.

يعقوب:

ابن إسحاق -عليه السلام-، ويسمى إسرائيل، وينتمي إليه بنو إسرائيل.

يوسف:

ابن يعقوب -عليه السلام-، تعرض لعدة ابتلاءات ثم صار في النهاية حاكمًا في مصر.

موسى:

أحد أعظم الرسل بعثه الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه التوراة، وأيده بالمعجزات، فكذبه فرعون مصر، فأغرقه الله في البحر، ونجى موسى ومن معه.

داود:

نبي آتاه الله الملك على قومه.

سليمان:

ابن داود -عليه السلام-، نبي آتاه الله ملكًا عظيمًا، وسخرت له الكثير من المخلوقات.

زكريا:

أحد أنبياء الله من بني إسرائيل، كان وصيًا على مريم أم عيسى عليهما السلام، ومسؤولًا عن تربيتها وتعليمها، وهبه الله ابنا -هو يحيى- مع كبر سنه، وعقم امرأته.

عيسى:

أحد أعظم الرسل، خلقه الله من أم بلا أب، وبعثه الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل، وأيده بأنواع من المعجزات.

محمد:

خاتم الأنبياء، أرسله الله إلى الناس كافة، مصدقًا لمن قبله من الرسل وأنزل عليه القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

من هو رسول الإسلام؟

محمد

محمد هو اسم نبي الإسلام..
وهو أحد أكثر الأسماء انتشارًا حول العالم اليوم، ومعناه الذي يحمده الناس ويثنون عليه لأخلاقه وأفعاله..
فمن هو محمد ؟

اسمُ رسول الإسلام:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، (٥٧٠-٦٣٢م) ويعتقد المسلمون جميعًا أنه:

- **رسول الله إلى الناس جميعًا:**

أرسل الله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة بكل أجناسهم وأعراقهم وأوجب طاعته على جميع الناس. ويقول القرآن عن ذلك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

- **أنزل عليه القرآن:**

أنزل الله على محمد ﷺ آخر وأعظم كتبه القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- **خاتم الأنبياء والمرسلين:**

أرسل الله محمدًا ﷺ خاتمًا للأنبياء، فلا نبي يأتي بعده، كما يقول القرآن: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

جولة سريعة للتعرف على رسول الإسلام محمد ﷺ:

١. ولادته:

ولد في مكة غرب الجزيرة العربية سنة (٥٧٠) ميلاديًا يتيم الأب، وفقد أمه في سن مبكرة، فتربى في رعاية جده عبد المطلب، ثم من بعده في رعاية عمه أبي طالب حيث ترعرع.

٢. حياته ونشأته:

عاش في قبيلته قريش أربعين عامًا قبل النبوة (٥٧٠-٦٠٩م) كان فيها مثالًا للخلق الحسن، ومضرب المثل في الاستقامة والتميز، وكان لقبه المشتهر بينهم الصادق الأمين، وكان يعمل بالرعي ثم عمل بالتجارة.

وكان رسول الله قبل الإسلام حنيفًا يعبد الله على ملة إبراهيم، ويرفض عبادة الأوثان والممارسات الوثنية وهو على ذلك أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٣. بعثته:

بعد أن أتم رسول الله ﷺ أربعين عامًا من عمره وكان يتأمل ويتعبد لله في غار حراء بجبل النور (أحد الجبال القريبة من مكة) جاءه الوحي من الله، وبدأ نزول القرآن عليه، وكان أول ما نزل عليه من القرآن قول الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١) ليعلن أن هذه البعثة منَ بدايتها عصر جديد من العلم والقراءة والنور والهداية للناس ثم تتابع نزول القرآن عليه ثلاثًا وعشرين سنة.

٤. بداية دعوته:

بدأ رسول الله بالدعوة لدين الله سرًا ثلاث سنين، ثم أظهر الدعوة وجهر بها في مكة عشر سنوات أخرى، وكان أكثر أتباعه الضعفاء والفقراء كحال أتباع جميع الرسل، ولاقى فيها رسول الله والمؤمنين به أشد أنواع الاضطهاد والظلم من قبيلته قريش، فعرض الإسلام على القبائل التي ترد إلى مكة للحج فقبل بها أهل المدينة وبدأت هجرة المسلمين إليها شيئًا فشيئًا.

٥. هجرته:

هاجر إلى المدينة المنورة والمسماة يثرب آنذاك عام (٦٢٢م)، وهو في الثالثة والخمسين من عمره، بعد أن تآمر عليه سادات قريش ممن عارض دعوته وسعى إلى قتله، فعاش فيها عشر سنين داعيًا إلى الإسلام، وأمر بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق وبقية شرائع الإسلام.

٦. نشره للإسلام:

أسس رسول الله نواة الحضارة الإسلامية في المدينة بعد هجرته (٦٢٢ - ٦٣٢م)، وأرسى معالم المجتمع المسلم، فألغى العصبية للقبيلة، ونشر العلم، وأرسى مبادئ العدل والاستقامة والإخاء والتعاون والنظام، وحاولت بعض القبائل القضاء على الإسلام، فحصل عدد من الحروب والأحداث ونصر الله دينه ورسوله، ثم تتابع دخول الناس إلى الإسلام، فدخلت مكة وأغلب المدن والقبائل في جزيرة العرب إلى الإسلام مختارين مقتنعين بهذا الدين العظيم.

٧. وفاته:

في السنة (١١) للهجرة النبوية، وبعد أن بلغ رسول الله الرسالة، وأتم الله النعمة على الناس بإكمال الدين، أصيب النبي ﷺ بالحمى وثقل به المرض، وتوفي ﷺ في نهار يوم الاثنين ربيع الأول سنة ١١هـ، ويوافق(٦٣٢/٦/٨م)، وله بضع وستون عامًا، ودفن ببيت زوجته عائشة بجانب المسجد النبوي.

محمد رسول اللّه في نظر المنصفين

لا يستطيع

لا يستطيع المنصف -أيًا كانت ثقافته- إذا درس قصة النبي محمد ﷺ إلا الانبهار والإعجاب بكل تفاصيل تلك السيرة الخالدة، فنجد العلماء والفلاسفة والأدباء من الشرق والغرب يشهدون بذلك، ويسطرونه في كتبهم ومقالاتهم، فمن ذلك:

قال غاندي في صحيفة (Young India، 1924):

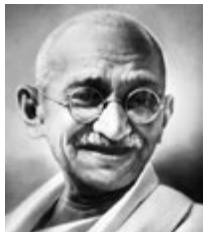

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف.

بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة».

(Mahatma Gandhi, statement published i ‹Young India,› 11/ 9 /1924).

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته»

غاندي

وفي كتابه الشهير (أعظم مائة رجل في التاريخ) ابتدأ مايكل هارت الشخصيات المائة بمحمد ﷺ، ووضح سبب اختياره قائلاً: «إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي».

Michael Hart in ‹The 100, A Ranking of the Most Influential Persons In History,› p.33

ويقول الشاعر الفرنسي الشهير ألفونس دو لامارتين في كتابه (تاريخ تركيا): «إن سمو المقصد وضعف الوسائل وضخامة الناتج، هي السمات الثلاثة لعبقرية الرجال. فمن ذا الذي يتجاسر أن يقارن محمدًا بأي عظيم من عظماء التاريخ؟» .

Histoire de la Turquie 1ج، P.111 .

ويقول الفيلسوف الهندي راماكريشنا : «تغيرت الظروف ولكن محمدًا لم يتغير، سواءًا في النصر أو الهزيمة، في السلطة أو في الشدائد، في الثراء أو في العوز. هو نفس ذلك الرجل وبنفس تلك الصفات، وكما هي مشيئة الله لجميع الأنبياء غير القابلة للتغيير أبدًا» .

في كتابه: Mhuhammad The Prophet of Islam، ص 24 .

ويقول أعظم شعراء ألمانيا جوته عن نفسه في رسالة لمحبوبته مبينًا قدر إعجابه بالإسلام وبمحمد: «إنه وإن بلغ السبعين؛ لم يتراخَ إعجابه بالإسلام أبدًا، بل كان يتعاظم ويشتد رسوخه».

ذكرت ذلك كاتارينا مومزن في كتابها عن جوته: Goethe und die arabische Welt، ص 177.

ويقول البروفيسور ستوبارت: «إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد.. فما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية، وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية، فلن نجد اسمًا منيرًا هذا النور، وواضحًا كل الوضوح غير اسم النبي العربي».

في كتابه: Islam and Its Founder، ص 228-227.

ويقول سايمون أوكلي في كتابه تاريخ الإمبراطورية المسلمة: «ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن».

في كتابه: History of the Saracen Empire، ص 45.

> **ما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن.**
>
> **سايمون أوكلي**

يقول ويل ديورانت في موسوعته الشهيرة قصة الحضارة ١٣ /٤٥-٤٧:

«وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارةُ الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلَّ أن نجد إنسانًا غيره حقق كل ما كان يحلم به... وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلًا واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات شأن عظيم في نصف العالم».

Will Durant, In The Story of Civilization13 / 47

ويروي لنا -بعد إسلامه- أحد أشد أعداء محمد قصة عجيبة، وذلك أنه لما وصلت رسالة النبي محمد ﷺ إلى هرقل عظيم الروم عام (٦٢٨م) يدعوه فيها إلى الإسلام، تعجب هرقل من ذلك، وطلب أن يؤتى بأحد من بلاد العرب له معرفة وقرابة بالمرسل، وكان أبو سفيان في تجارة له بالشام (وهو من سادات قريش وأشدهم عداوة للنبي في ذلك الوقت)، فدعي ومن معه إلى القصر، وسألهم هرقل عبر مترجمه أسئلة غاية في الذكاء والحكمة؛ ليعرف صدق الرسول ﷺ من كذبه، فلمَّا سمع إجابات أبي سفيان عن أسئلته، قال هرقل محدثًا أبا سفيان:

سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يقلد من سبقه.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فعلمت أنه لم يكن ليترك الكذب على الناس ثم يكذب على اللّه!.

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك أيرتد أحد كراهية لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك بمَ يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف..

فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه (البخاري: ٧).

من قصص الرسول محمد وأخلاقه

كان رسول الله ﷺ مثالًا لأرقى الأخلاق الإنسانية شهد بذلك جميع المنصفين من الشرق والغرب ومن أعدائه أيضًا، حتى استحق أن يصف القرآن خلقه بالعظمة..

لما سُئلت زوجته عائشة رضي الله عنها عن خلق محمد رسول الله لم تجد وصفًا أدق في التعبير عن خلقه من قولها: «كان خلقه القرآن»، أي: كان نموذجًا عمليًا لتطبيق تعاليم القرآن وأخلاقه.

وهذه نبذة موجزة من قصصه وأخلاقه:

لم يكن رسول الله ﷺ يرضى من أحد أن يقوم له تعظيمًا لشخصه، بل كان ينهى أصحابه عن فعل ذلك، قال أنس بن مالك: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك» (أحمد ١٢٣٤٥).

جاءه عدي بن حاتم قبل أن يسلم وكان من وجهاء العرب وسادتهم، يريد معرفة حقيقة دعوته، قال عدي: «فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي -فذكر قربهم من النبي ﷺ فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر» (أحمد ١٩٣٨١) فالتواضع خلق الأنبياء جميعًا.

كان يجلس مع أصحابه كواحد منهم، ولم يكن يجلس مجلسًا يميزه عمن حوله، حتى إن الغريب الذي لا يعرفه، إذا دخل مجلسًا هو فيه، لم يستطع أن يفرق بينه وبين أصحابه، فكان يسأل: أيكم محمد؟ (البخاري ٦٣).

كان رسول الإسلام يصلح مقتنياته الشخصية بنفسه، ويخدم أهله ويشاركهم أعمال المنزل.

يحكي بعض أصحابه عنه أنه مع انشغاله لم يكن يمتنع عن الذهاب لقضاء حوائج الناس ومصالحهم مهما صغرت، فهذا أنس بن مالك ـ أحد الصحابة ـ يقول: «إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت» (البخاري ٥٧٢٤).

يحكي الصحابي الجليل عمر بن الخطاب دخوله مرة على الرسول محمد، فرأى أثر الحصير (السجاد المنسوج من أوراق النخيل) في جنبه فبكى، فقال: «ما يبكيك؟» فقال عمر: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه (يعني من النعيم)، وأنت رسول الله! فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» (البخاري ٣٥٠٣).

كان يصلح مقتنياته الشخصية بنفسه، ويخدم أهله، ويشاركهم أعمال المنزل، ولما سئلت زوجته عائشة رضي الله عنها عن حاله في بيته قالت: «كان يكون في مهنة أهله» (البخاري ٦٤٤) تعني خدمة أهله، وقالت أيضًا: «كما يصنع أحدكم: يخصف نعله، ويرقع ثوبه» (أحمد ٢٤٧٤٩).

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (مسلم ٩١).

قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (أبو داود ٤٩٤١).

وتتمثل رحمة النبي ﷺ في جوانب عديدة، منها:

رحمته بالأطفال:

- مع أن الصلاة هي عمود الإسلام التي لا يجوز فيها الكلام، أو كثرة الحركة، فقد صلى عليه الصلاة والسلام مرّة وهو حامل حفيدته أمامة بنت زينب، فكان إذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. (البخاري ٤٩٤).

كان إذا دخل في الصلاة فسمع بكاء الصبيّ، أسرع في أدائها وخفّفها، كما قال النبي ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشقّ على أمّه» (البخاري ٦٧٥).

رحمته بالنساء:

- **حثّ** ﷺ على رعاية البنات والإحسان إليهنّ، وكان يقول: «من يلي من هذه البنات شيئًا، فأحسن إليهن، كن له سترا من النار» (البخاري ٥٦٤٩).
- **بل إنه شدّد** في الوصية بحق الزوجة والاهتمام بشؤونها ومراعاة ظروفها، وأمر المسلمين أن يوصي بعضهم بعضًا في ذلك، فقال: «استوصوا بالنساء خيرا» (البخاري ٤٨٩٠).
- **ضرب** ﷺ أروع الأمثلة في التلطّف مع أهل بيته، حتى إنه كان يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع زوجته صفية رضي الله عنها رجلها على ركبته حتى تركب البعير (البخاري ٢١٢٠).
- **كان** عندما تأتيه ابنته فاطمة رضي الله عنها يأخذ بيدها ويقبلها، ويجلسها في مكانه الذي يجلس فيه (أبو داود ٥٢١٧).

رحمته بالضعفاء:

- **حثّ النبي** ﷺ الناس على كفالة اليتيم، وكان يقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا (البخاري ٤٩٩٨).

- **جعل الساعي** على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل (البخاري ٥٦٦١).
- **جعل العطف** على الضعفاء وإعطاءهم حقوقهم سببًا للرزق والنصر على الأعداء، فقالﷺ: «أبغوني الضعفاء؛ فإنما تنصرون وتُرزقون بضعفائكم» (أبو داود ٢٥٩٤).

جعل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تقريب الضعفاء والإحسان إليهم سببًا للنصر والرزق.

- **كان** ﷺ عادلًا، يقيم شرع الله ولو على أقرب الأقربين، امتثالًا لأمر القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).
- أتى بعض الصحابة يشفع عند النبي ﷺ حتى لا تقام العقوبة على امرأة لها مكانة في القبيلة قد سرقت، فحلف النبي ﷺ على أن فاطمة ابنته لو سرقت لأقام عليها العقوبة (البخاري ٤٠٥٣).
- **لما حرَّم** الربا على الناس بدأ بأقرب الناس إليه فمنعه من الربا وهو عمه العباس، فقال ﷺ: «وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله» (مسلم ١٢١٨).
- **جعل** مقياس حضارة الأمم ورقيها أن يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي غير خائف ولا متردد، فقال ﷺ: «لا قُدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع» (ابن ماجه ٢٤٢٦).

الإحسان والكرم:

- **جاءه** رجل فسأله مالاً، فأمره أن يشتري ما يريد ويكون السداد دينًا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صاحبه عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ ذلك، فقال رجل: «يا رسول الله، أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً» فتبسم النبيﷺ وعرف السرور في وجهه (الأحاديث المختارة ٨٨).
- حُمِل إليه ثمانون ألف درهم من فضة فوضعها على حصير، ثم مال إليها فقسمها، فما ردَّ سائلًا حتى فرغ منها (الحاكم ٥٤٢٣).

تذكر المصادر أن رسول الإسلام لم يكتنز مالًا في حياته.

- **خرج** رسول الله ﷺ مهمومًا من الطائف (مدينة جبلية تبعد ٩٠ كيلًا عن مكة) بعدما ذهب يدعوهم فيها إلى الإسلام، فآذوه وأجابوه بأسوأ إجابة، وفي أثناء رجوعه إلى مكة وفيها قومه الذين أخرجوه وآذوه أرسل الله له ملكًا يسأله إن أراد إهلاك أهل الطائف فقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» (البخاري ٣٠٥٩).

- **أعظم** من ذلك موقفه مع أهل مكة، الذين طردوه من بلده، وطالما آذوه بألسنتهم وسيوفهم، ولم يدخروا وسعًا في محاولة الفتك به وبمن معه سنين متطاولة، فلما جاء النصر من الله، وأعزه سبحانه بفتح مكة وظفر بهم جميعًا قام فيهم قائلًا: «ما تقولون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف -يعني نبي الله يوسف بن يعقوب الذي عفا عن إخوته الذين آذوه ورموه في البئر- فقال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢) اذهبوا فأنتم الطلقاء» (البيهقي ١٨٢٧٥)

الزهد في الدنيا:

- **كان** رسول الله ﷺ ممتثلًا دائمًا قول ربه عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ١٣١).

- **دخل عليه** صاحبه عمر رضي الله عنه يومًا، فإذا هو مضطجع على حصيرٍ ليس بينه وبينه فراش، وقد أثّر في جنبه، فقال عمر: ثم رفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر غير أَهَبَةٍ ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسِّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فقال: «أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» (البخاري ٢٣٣٦)

- **كان يقول:** «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها» (الترمذي ٢٣٧٧).
- **كان يمر** عليه الشهر والشهران والثلاثة وما توقد في بيوت رسول الله ﷺ نار للطبخ، وإنما يأكل التمر والماء (البخاري ٢٤٢٨)، وربما ظل يومه جائعًا وما يجد من رديء التمر ما يملأ به بطنه (مسلم ٢٩٧٧)، وما شبع ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز برٍّ حتى قُبِضَ، وكان أكثر خبزه من الشعير (مسلم ٢٩٧٦).

يشبه رسول الإسلام حاله مع الدنيا كمسافر جلس إلى ظل شجرة ثم مضى وتركها..

الوفاء:

- **الوفاء** بالعهود من أسمى الأخلاق وأشرفها، ويزداد مكانة في النفس إذا كان ذلك لرد الجميل ولا عهد ملزم بين الطرفين، وقد كان ذلك ديدن رسول الله، فيرد الإحسان بأعظم منه، ولو لم توجد عهود ومواثيق على ذلك، فما بالك إن وجدت.
- **لما سأل هرقل** ملك النصارى كفارَ قريش عن صفات النبي ﷺ قال: فهل يغدر؟ قالوا: لا، فقال لهم: كذلك الرسل لا تغدر (البخاري ٧).
- **كان** في أعلى درجات الوفاء لزوجته الأولى خديجة، حافظًا لها مكانتها، معترفًا بدورها، حريصًا على إكرام قريباتها وصديقاتها..
- **تحكي عائشة زوجة** النبي محمد عن وفائه ﷺ لزوجته الأولى خديجة التي ماتت في أيام البعثة الأولى، ولم تعرفها عائشة، فتقول: ولقد كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صديقات خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت.. ويذكر من مزاياها» (البخاري ٣٦٠٧).

- **قدم** عليه ذات مرة وفد من النجاشي (وهو ملك الحبشة وكان قد حمى المسلمين في أول الإسلام) فقام ﷺ يخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه: نحن نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم» (شعب الإيمان ٨٧٠٤).

لقد ضرب النبي محمد ﷺ أروع الأمثلة في الأخلاق الحسنة في جميع مجالات الحياة، تحقيقًا لأمر الله، واقتداء بالأنبياء الكرام من قبله.

مسجد النبي محمد الذي بناه في المدينة أو المدينة المنورة كما يسميها المسلمون وهي المدينة المقدسة الثانية في الأهمية بعد مكة ، هاجر إليها الرسول محمد وبنى فيها مسجده ودفن بها، ويزور المسجد الملايين من المسلمين سنويًا.

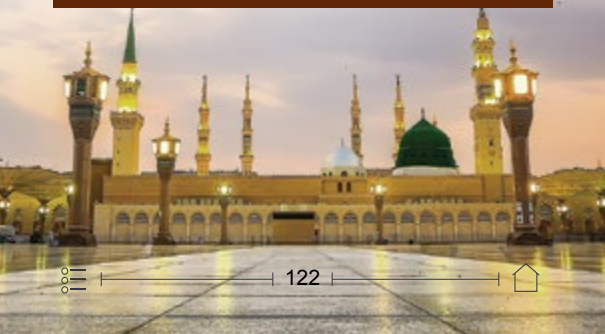

من أقوال محمد صلى الله عليه وسلم

اعتنى المسلمون بنقل أقوال النبي ﷺ سماعًا وكتابة، وتنافس الحفاظ والعلماء في ضبط وتحرير ألفاظه، وقدموا للعالم نظامًا مذهلاً في التثبت من الأخبار، ومعرفة ما يثبت وما لا يثبت، حتى في أدق تفاصيل الجمل والكلمات، وما الذي أضيف إليها وليس منها..

هذه نماذج من الأحاديث النبوية التي قالها محمد رسول الله ﷺ:

- «**إنما الأعمال بالنيات**، وإنما لكل امرئ ما نوى» (البخاري ١).
- «**البر حسن الخلق**، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» (مسلم ٢٥٥٣).
- «**ازهد في الدنيا يحبك الله**، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» (ابن ماجه ٤١٠٢).
- «**مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي**، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنةُ وأنا خاتمُ النَّبيّين» (البخاري ٣٣٤٢).
- «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (البخاري ١٠).
- «**اتق الله حيثما كنت**، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (الترمذي ١٩٨٧).

«**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا**، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (مسلم ٥٤).

- «**ألا من ظلم غير مسلم**، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (أبو داود ٣٠٥٢).
- «**الراحمون يرحمهم الرحمن**، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (أبو داود ٤٩٤١).
- «**من نفَّس عن مؤمن كربة** من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة، ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه» (مسلم ٢٦٩٩).
- «**من غشَّ فليس منا**» (الترمذي ١٣١٥).
- «**مثل المؤمنين** في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (مسلم ٢٥٨٦).

«**ليس منا من لم يرحم صغيرنا**، ويعرف حق كبيرنا» (الترمذي ١٩٢٠).

- «**كلكم راع وكلكم مسؤول**، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول» (البخاري ٤٨٩٢).
- «**خيركم خيركم لأهله**، وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي ٣٨٩٥).

- «**بينا رجل بطريق**، اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرِب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكلُ الثرى من العطَش، فقال الرجلُ: لقد بلغ هذا الكلبُ من العطشِ مثلَ الذي كان بلغ مني، فنزل البئرَ فملأ خفَه ماءً، فسقى الكلبَ، فشكر اللّه له فغفر له. قالوا: يا رسولَ اللّه، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ» (البخاري ٢٤٦٦).
- «**آية المنافق ثلاث:** إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (البخاري ٣٣).
- «**من حسن إسلام** المرء تركه ما لا يعنيه» (الترمذي ٢٣١٧).
- «**إن اللّه يحب الرفق** في الأمر كله» (البخاري ٥٦٧٨).
- وقال ﷺ: «**من يحرم** الرفق يحرم الخير» (مسلم ٢٥٩٢).

كيف وصف القرآن رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام؟

يعكس لنا القرآن جانبًا عجيبًا من شخصية النبي ﷺ وتفاعلاته مع من حوله، تتجلى فيه أخلاقه وشمائله وبشريته في آن:

- **فهو رحمة** للعالمين (الأنبياء: ١٠٧) وليس للمسلمين فقط.
- **وهو على خلق** عظيم (القلم: ٤).

- **يحرص** أشد الحرص على هداية الناس ويصيبه الحزن الشديد لضلالهم، حتى لقد تم التأكيد مرارًا على أن مهمته هي الدعوة والبلاغ، وأن الله يوفق من يشاء للهداية (هود: ١٢، الأنعام: ١٠٧ ، الكهف: ١١٠) .

- **يبحث** عن الأعذار للآخرين ويتغاضى عن أخطائهم (التوبة: ٤٣).

- **يدعو** الله أن يغفر لأعدائه حتى ينهى عن ذلك (التوبة: ٨٠).

- **يشق عليه** ما يشق على المؤمنين، وهو بهم رؤوف رحيم (التوبة: ١٢٨) .

- **ربما تأذى** من طول مكث بعض الناس في بيته، ويمنعه الحياء من ذكر ذلك لهم (الأحزاب: ٥٣).

- **سهل** سمح لين القلب، يعامل أصحابه باللين، ويشاورهم، ويأخذ برأيهم حتى في أشد الظروف وأحلكها (آل عمران: ١٥٩).

القرآن الكريم
معجزة الإسلام الخالدة

ما هو

ما هو القرآن الذي كثيرًا ما يتصدر أعلى الكتب مبيعًا وتوزيعًا حول العالم؟ ويؤمن به ما يزيد عن مليار ونصف مسلم؟

القرآن هو كتاب المسلمين المقدس الذي يؤمنون بأنه:

- **كلام اللّٰه** المنزل على رسوله محمد ﷺ هداية للناس ونورًا.
- **خاتم الكتب** السماوية المنزلة.
- **المحفوظ من التبديل** والتحريف.
- **المتعبد بتلاوته** وحفظه، كما أنهم يتعبدون بتطبيق أحكامه وشرائعه.

وقد بدأ نزوله بواسطة الملك جبريل -عليه السلام- بعد أن أتم النبي ﷺ ٤٠ عامًا، وكانت أول آية نزولًا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق١)، ونزل متفرقًا في ٢٣ سنة بحسب المواقف والأحداث.

أول آية نزولًا من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، ونزل متفرقًا في ٢٣ سنة بحسب المواقف والأحداث.

وينقسم القرآن إلى ١١٤ سورة، تتعدد مواضيعها وأساليبها، ولكنها كما يتفق الجميع بأعلى درجات البلاغة والفصاحة العربية، وتصب في هداية الناس ودعوتهم لعبادة الله وحده.

ومن أهم المجالات التي يتحدث فيها القرآن:

١. **إثبات وحدانية الله**، ونقض شبهات أهل الإشراك به.

٢. **قصص الأنبياء** والأقوام السابقة.

٣. **الدعوة إلى تأمل الكون** الفسيح والنظر للمخلوقات من حولنا، وتعداد قدر من نعم الله علينا.

٤. **توضيح شرائع الدين** وأوامره ونواهيه.

٥. **بيان صفات المؤمنين** وأخلاقياتهم، والتحذير من الصفات السيئة.

٦. **الحديث عن اليوم الآخر**، وجزاء المحسنين والمسيئين.

٧. **تربية المؤمنين** عبر التعليق على الأحداث التي تحصل للنبي ﷺ وصحابته.

وهذه نبذة عن بعض مزايا القرآن وخصائصه..

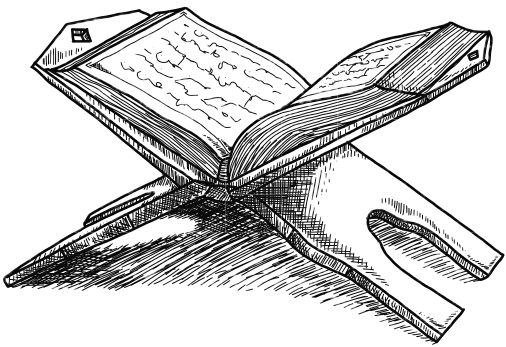

الإعجاز في الحفظ:

سمى الله خاتم كتبه القرآن إشارة إلى كونه متلوًا محفوظًا في الصدور، وسماه في كثير من الآيات الكتاب إشارة إلى كتابته وحفظه في السطور، وقد حُفظ القرآن بالأمرين معًا، فكان إذا نزل عليه شيء منه كتب بحضوره، وحُفظ من فمه، ولا تقبل شهادة الحفاظ مهما كثر عدده، ما لم توافق المكتوب، ولا يقبل المكتوب مالم يطابق ما تم حفظه من فم رسول الله..

وفي حين يقر علماء اللاهوت المسيحي بأن التناقضات الواردة في الأناجيل أمر طبيعي متوقع بسبب تعدد مصادر كُتَّاب الأناجيل، واختلاف تواريخها، وطبيعة الوحي غير المباشر الذي حوته الأناجيل، وإن كانوا بحسب رؤيتهم يكتفون بكونها تحوي ما فيه الهداية للبشرية.

لكن الحقيقة التي لا يمكن لمطلع منصف إلا الإقرار بها أن القرآن خالٍ تمامًا من أي تناقض أو تعارض؛ وذلك لأنه لفظًا ومعنى كلام الله عز وجل، تم حفظه وكتابته من فم النبي الكريم محمد ﷺ الذي أُوحي إليه به، لا يزيد فيه، ولا ينقص منه، والمسلمون على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم لم يختلفوا في كلمة منه.

فقد تمت المحافظة على القرآن ونقله جيلًا عن جيل عبر التاريخ بأرقى درجات الضبط والإتقان والدقة في كتابته، وطرائق نطقه وأدائه، وحفظه في الصدور، وطرائق كتابته ورسمه في المصاحف، لا ينقص منه حرف، ولا تزيد فيه حركة، وبإمكان أي إنسان أن يشتري نسخة منه اليوم من أقصى الصين، أو أواسط أفريقيا ليقارنها بالمخطوطات القرآنية التي كتبت قبل ألف عام، وتحتفظ بها المتاحف حول

العالم؛ ليكتشف الحقيقة المذهلة، وأن طريقة نطقه بحروفه وكلمته وقواعد قراءته هي هي لم تتغير أو تتبدل، مع اختلاف الزمن، وتنوع اللغات، سواء سمعته من طفل يتلوه عن ظهر قلب في إندونيسيا اليوم، أو من عالم مسلم كان يقيم درسه في مكة قبل ألف عام..

وقد جاء في القرآن : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢) ولا عجب فقد تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

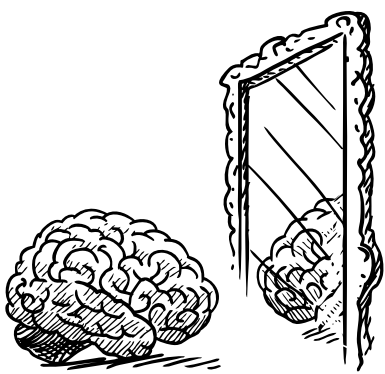

الإعجاز البياني والنفسي:

يجد من يقرأ القرآن بتركيز أن القرآن يواجه قارئه بشكل مباشر وشخصي، ولا يتوقف عن نقاشه ومواجهته.. والأعجب من ذلك أنه يسبق أفكاره ويوجهها، وكأنه يقرؤها قبل أن يصرح لنفسه بها!.

فمع أن الفنان قد يستطيع رسم العين بحيث تبدو أنها تتابع الناظر أينما ذهب، ولكن كيف لكتاب أن يتابع أفكار القارئ ويتوقعها، ويجيب على تساؤلاته قبل أن يطرحها أحيانًا، مع اختلاف القراء، وتنوع ثقافاتهم، وظروف حياتهم!

إن القرآن يمتلك ذلك الأسلوب المبهر في تشخيص نوازع الإنسان، وتعرية أسراره، وبيان ضعفه، فيما قد يبدو قسوة لقارئه في الوهلة الأولى، وما هو إلا أنه يوقظ النفس ليطرح على العقل والقلب معًا الأسئلة التي طالما أجَّلَها، وتهرب من الإجابة عليها..

فعندما يقرأ الواحد منا القرآن، ويطالع قصص فئات من الناس ووصفهم، ويعيش مع أسرار تفكيرهم ونفسياتهم ومنطلقاتهم، وضلال بعضهم ونجاة آخرين.. يقف مع نفسه لوهلة يحاول فيها إعادة حساباته.. ولكن ما هي إلا أن تتعدد تلك الآيات والصور والنماذج، وتتابع بإيقاع يقترب من القلب شيئًا فشيئًا دون شعور، حتى يصبح القرآن مرآة للنفس، يظهر حقيقتها.. عيوبها ونقصها، وإمكانياتها وفرصها.. فيتخلل نفس القارئ بعمق ليأتي بها مذعنة مقرة بأنه لا إله إلا الله.

فتجده حينما يراوده اليأس والقنوط يقرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

وفي الوقت الذي يحتار ويحس بصراع داخلي عنيف، ويريد من يركن ويلجأ إليه، يجد اللطف في قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وحين يفكر في أن حياته خرجت عن السيطرة، ولم يعد قادرًا على التحمل أو التحكم بمجرياتها، يجد البلسم الشافي، والمعين الداعم له في قول الله في القرآن: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ولقد اعترف ويل ديورانت أهم مؤرخي الحضارة بأثر القرآن ومكانته بين جميع المنصفين (قصة الحضارة ١٣/٦٨-٦٩) فقال:

«**ولقد آمن بالقرآن** كثير من رجال العلم والفكر في كل عصر من العصور الماضية، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه؛ كما آمن به من لا يحصون كثرة من الناس على اختلاف حظوظهم من العقل والفكر؛ وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقة الواضحة التي يتقبلها الجميع.. أسهل العقائد، وأقلها غموضًا، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحررًا من الوثنية والكهنوتية.. ولقد علَّم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها،

بلا شكوى ولا ملل.. وقد عرَّف الدين وحدده تحديدًا، لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله. ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).»

يقول ويل ديورانت:

«ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر على اختلاف حظوظهم من العقل والفكر؛ وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقة الواضحة التي يتقبلها الجميع.. أسهل العقائد، وأقلها غموضًا».

من أين جاء القرآن؟

سؤال

سؤال منطقي يتبادر للذهن مباشرة عند الحديث عن كتاب المسلمين المقدس: القرآن، ومحمد عليه الصلاة والسلام.. فلماذا علينا قبول رواية المسلمين حول القصة؟ ألا يحق لنا طرح الأسئلة حول ذلك؟

لا يختلف المؤرخون أن القرآن جاء على لسان رجل عربي، لا يقرأ ولا يكتب، ولد بمكة في القرن السادس الميلادي اسمه محمد بن عبد الله.. وشهادة التاريخ المتواتر لا تضاهيها شهادة، كما أننا نقرأ في هذا الكتاب بوضوح أنه ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قولٌ كريم ألقي إليه من الله، ووظيفة محمد ما هي إلا تبليغه، وتبيانه للناس بدون زيادة فيه ولا نقصان.

فهل يمكن أن يكون محمد رسول الإسلام قد اخترعه من تلقاء نفسه، أو تعلم ما فيه وأعاد صياغته وقدمه للناس بعد ذلك؟

> **لو أراد رسول الإسلام الاحتيال لبسط نفوذه على الناس بنسبة أقواله إلى الله، فلماذا لم يزعم أن جميع أقواله من عند الله؟!**

إنها تساؤلات مشروعة، تقفز إلى الذهن مباشرة ما لم يكن صاحبها مطلعًا على القرآن، دارسًا له، أو عالمًا بسيرة محمد وقصصه.

الذي نعرفه وتثبته الدراسات التاريخية أن كثيرًا من الأدباء والمفكرين كانوا يسطون على آثار غيرهم، فيسرقونها وينسبونها لأنفسهم، فلماذا ينسب أحد لغيره آثار عقله؟!

ومما يثير التساؤل أنه لو كان أراد الاحتيال لبسط نفوذه على الناس بنسبة ذلك إلى الله، فلماذا لم يزعم أن جميع أقواله من عند الله؟!.

وهل يعقل أنه هو من ألف واخترع الكتاب، وأراد بنسبته إلى الله بسط نفوذه ورفع مكانته وشرفه، في الوقت الذي نجد في ذات الكتاب مواطن كثيرة يعاتب فيها المتكلمُ محمدًا عتابًا مباشرًا، ويقدم توجيهًا له، وتصحيحًا لأخطائه؟

إن القرآن -كما يعلم من قرأه- لم يستثن من العتاب مجالًا خاصًا أو عامًا، فقد عاتب ونصح محمدًا في قضايا حياته الأسرية، كما خطَّأ بعض قراراته القيادية، بل وحتى طريقة دعوته للناس!

ومن ذلك أن رجلًا أعمى من أصحاب محمدﷺ قدم إلى النبي وهو منشغل بدعوة أحد قيادات قريش يرجو إسلامه، ولم يدر الأعمى أن محمدًا مشغول بذلك فناداه: علمني مما علمك الله، وألح عليه وكرر ذلك، فعبس (تغيرت تعابير وجهه من الغضب)، وود لو أن الأعمى انتظر حتى يفرغ مما هو فيه، ثم انصرف محمدﷺ عن الأعمى ولم يجبه، فأوقف القرآن تلك اللحظة من الزمن وثبتها في التاريخ، ووصف ذلك الموقف بدقة وتفصيل، مبينًا كيف عبس محمدﷺ في وجه الأعمى وتركه دون جواب، ولم يتوقف القرآن عند هذا، بل أعقبه بعتاب لنبيه، وتوجيه صريح قوي له بعدم تكرار ذلك في سورة سميت باسم يوثق تلك الحادثة (عبس: ١-١١)، فكان رسول اللهﷺ يقول لذلك الأعمى بعد ذلك إذا جاء: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي» ويبسط له رداءه.

لقد أثبت لنا القرآن العديد من قصص التوجيه والعتابات لرسوله بما يأنف أحدنا أحيانًا من أن يقال له مثل ذلك على الملأ.. أفينشر أحدٌ أخطاءه ويثبتها في سجل التاريخ بهذه الطريقة، لو أراد المكانة والشرف لنفسه!

ثم ها هو التاريخ يثبت لنا في مواطن متعددة كيف عاش محمدٌ ﷺ لحظات عصيبة يتمنى أن ينزل عليه فيها الوحي ليثبت صدقه ومكانته، أو براءته وبراءة أهله، ولا يأتيه..

ومن ذلك أن قومه الذين عادوه وآذوه استعانوا ببعض أهل العلم والكتاب من الأمم السابقة؛ ليستعينوا بهم في حربهم على محمد.

فأشاروا عليهم أن اسألوه عن ثلاثة أسئلة، فإن أجابكم فهو نبي، وإن لم يجبكم فليس هو بنبي.. ففعلوا وسألوه، فقال لهم محمد ﷺ تحديًا لهم: أجيبكم غدًا..

فانقطع الوحي عن محمد أيامًا لا يأتيه، فصار أعداؤه يمرّون عليه، ويستهزؤون به لعدم جوابه لهم، وأصاب محمدًا هَمٌّ شديد بسبب ذلك الأمر، ولم ينزل عليه الوحي بالقرآن إلا بعد خمسة عشر يومًا

لإجابات تلك الأسئلة، ومعها التوجيه القرآني لمحمد ﷺ بأن ذلك التأخير لجوابك تعليم من الله لك: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ● إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾، (الكهف: ٢٣-٢٤).

أثبت لنا القرآن العديد من قصص التوجيه والعتابات لرسوله بما يأنف أحدنا أحيانًا من أن يقال له مثل ذلك على الملأ.

اتهامات متكررة:

من العجيب أن قصة محمد ﷺ وحياته يمكن اعتبارها من أظهر الأدلة على صدقه..

فكيف لرجل أمي لا يقرأ ولا يكتب يعيش بين ظهراني قوم أميين، يشاركهم حياتهم ويحضر مجالسهم -في غير فجور-، منشغلًا برزق نفسه وأهله، راعيًا للأغنام بالأجر، أو تاجرًا بالأجر، لا صلة له بالعلماء، يقضي في ذلك أكثر حياته أربعين سنة كاملة، وفي لحظة واحدة يكلمهم بما لا عهد لهم به، وبما لم يعرفوه عن آبائهم، فيخبرهم قصص الأولين، وتاريخ بدء الخلق، وتفاصيل حياة الأنبياء السابقين، ودقائق من تشريعات الأحكام في جميع مجالات الحياة!..

لقد أصابت تلك الحقيقة أعداء محمد من قومه بصدمة مدوية، فاضطربوا في وصف ما جاء به، فما التهمة التي يمكن تسويقها لتحذير الناس منه؟

فمن الصعب الزعم بأن القرآن من اختراع محمد، فلا يعقل ذلك لمن قرأ القرآن وتأمله، ولا يمكن أن يكون تعلمه من غيره، فهو يعيش معنا، ونعرف تفاصيل حياته.. فاتهموه بالشيء وضده، فمرة يقولون أخذه ممن قبله، ومرة يقولون افتراه من تلقاء نفسه، ومرة يقولون: إنما يقص أحلامه التي يراها في المنام... فإذا عجزوا عن إثبات ذلك قالوا: ساحر، أو شاعر، أو ربما مجنون!

إنها ذات القصة مع اختلاف الأسماء.. ألم يتهم موسى -عليه السلام- بالسحر؟ ألم يرمى عيسى -عليه السلام- بالجنون؟

وهكذا كان الأمر مع جميع الأنبياء السابقين -عليهم السلام-، فلما لم يجد أعداؤهم ما يتهمونهم به ادعوا أنهم سحرة أو مجانين، وهكذا حال شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه، وذهاب حجته، تقلب في كل اتجاه، واتهم بكل نقيصة، عسى أن يجد أرضًا يقف عليها، وأنى له ذلك!

> هكذا كان الأمر مع جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام، فلما لم يجد أعداؤهم ما يتهمونهم به ادعوا أنهم سحرة أو مجانين.

لماذا لا نعتبرها مجرد عبقرية:

يتفق الجميع أن الله أودع في عقل الإنسان من القدرات والإبداع ما يصعب تخيله، ولكن أليس من الطبيعي أن يكون للعقل حدودًا في استنتاجه واستنباطه.. فمع أن العقل يشهد بوجود رب خالق قادر، وأن عدالة هذا الرب تقتضي وجود حياة أخرى يأخذ فيها كل واحد جزاءه من خير أو شر، ولكن هل يستطيع العقل إثبات التفاصيل والدقائق الأخرى، فيما ليس عليه أدلة أو شواهد؟

يجد المطلع على القرآن أنه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة، ويصف لنا بالتفصيل الدقيق كيف بدأ الخلق، وكيف ينتهي، ويصف الجنة ونعيمها، والنار وأحوال عذابها، وعدد أبوابها، وعدد الملائكة الموكلة بها، ويقرر قضايا تفصيلية عن حقيقة الكون والإنسان.. فعلى أي نظرية عقلية بنيت كل تلك التفاصيل؟

إن ذلك لا يتأتى من جهة الذكاء والعبقرية، فهو إما كذب وباطل وتخمين، أو هو حق لا يُنال إلا بالتعليم والتلقين.

وقد وُجد أن العلم الحديث أثبت بعض حقائقه في الوقت الذي لم يناقض فيه شيئًا من معلوماته، كما أنه وافق ما في الكتب السماوية السابقة من أخبار الغيبيات.

ربما هي كتب أعاد صياغتها:

لنقف لحظة تأمل فهل يحتمل ولو بقدر يسير أن يكون استقى تلك المعلومات من كتب الأنبياء السابقين؟

إذا تجاوزنا حقيقة كون محمد ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وأن قومه أغلبهم أميون، ولا عهد لهم بتلك العلوم، وأنه لم يصاحب أحدًا من أهل الكتب السابقة -عدا لقاءٍ عابرٍ في سفره أثناء طفولته للحظات بمحضر من أقاربه-، وأن الحقيقة التاريخية تثبت أن أهل العلم بالكتب في ذلك الزمن كانوا يكتمون العلم، ويستأثرون به؛ ليحفظوا مكانتهم، ولم يكن متاحًا مبذولًا..

إذا تجاوزنا ذلك كله، فإن الحقيقة الماثلة أمام أي باحث أن القرآن لم يوافق كل ما كان موجودًا في الكتب السماوية حينئذٍ، بل جاء ليصحح بعض المعلومات المغلوطة (التي غيرها بعض علماء الدين)، ومكملًا لنقص بعض القصص، وكاشفًا لما كانوا يكتمونه من العلم، مبينًا لضلالات اعتقادية، أو سلوكية ألصقها بعض العلماء بدين الأنبياء عليهم السلام، وهي لا تمت إليه، والقرآن مليء بالأمثلة على هذا.. فهل يمكن مع هذا كله أن يكون تلميذًا لهم، مستقيًا المعلومات منهم؟!.

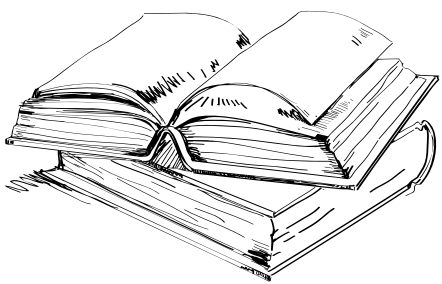

حقيقة تاريخية فارقة:

لا يفوت الباحث المنصف أن يتوقف طويلًا للتأمل.. ألم يكن رسول الإسلام محمد ﷺ رجلًا عربيًا؟

ألم يحدثنا التاريخ أن قومه العرب كانوا في ذلك الوقت لا يملكون فنًا يتفاخرون به إلا الفصاحة والبلاغة؟ وأن صناعتهم ماهي إلا الشعر والأدب، يعقدون لها المنتديات والمجالس والمحافل، وترتفع القبيلة أو تنخفض بقصيدة قيلت فيها!

وتخبرنا كتب التاريخ والأدب أنه لا يكاد يقول أحد منهم شعرًا أو نثرًا إلا تعقبوه، فأكملوا نقصه، واستدركوا ما فاته، وردوا عليه بطريقته، وأن هذا هو مضمار سباقهم، ومظهر قوتهم وتميزهم؟

فكيف يأتي ألد أعدائهم ومن لا يدخرون وُسعًا في حربه، والنكاية به، والتحذير منه، ويتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل جزء صغير منه، ثم لم يواجهوا ذلك التحدي إلا بالسكوت والتهرب من المنازلة!

ألم يكن يخشى محمد ﷺ بهذا التحدي أن يثير حفيظتهم في أخص مهاراتهم، وأقوى معارفهم، فيهبُّوا لمنافسته أفرادًا أو جماعات؛ ليفحموه، ويثبتوا للناس بطلان ما جاء به!

ثم لنفترض أنه تجرأ على ذلك لمعرفته بقدرات قومه، فكيف يجزم ويصدر حكمه على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولا بجزء منه، ولو اجتمعوا على ذلك؟!

إنها مغامرة لا يقدم عليها إلا رجل قد امتلأ قلبه ثقة ويقينًا بما يخبر به.. فكان الأمر كذلك، فلم تجرؤ قريش، ولا كبار البلغاء على تأليف كلام مثل القرآن، ولا أجزاء منه، وهي الحقيقة الماضية من ذلك الزمن وحتى اليوم، ومن حاول أو هَمَّ بذلك عبر التاريخ باء بالفشل الفاضح، وصار أضحوكة لقومه، مدعاة للسخرية والازدراء الأدبي بينهم..

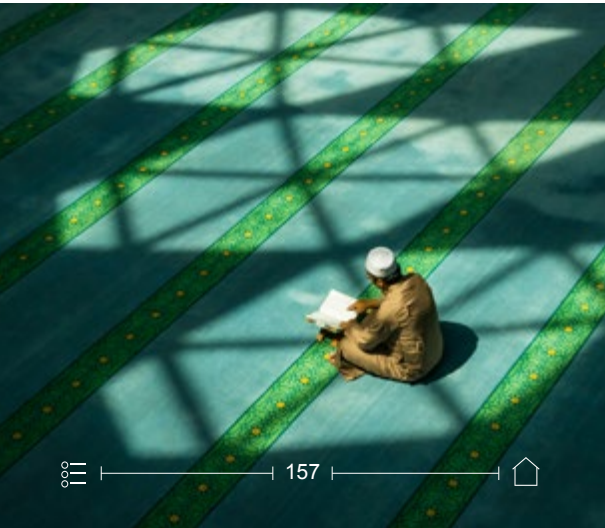

سورة الفاتحة:

هي أعظم سورة في القرآن ويكررها المسلم دائمًا في صلاته ومعناها باختصار كالتالي:

معنى سورة الفاتحة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أبتدئ باسم الله أدبًا وتعظيمًا وهو االمتصف بالرحمة التي وسعت كل شيء.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أُثني على الله بجميع صفاته وأفعاله ونعمه الظاهرة والباطنة مع المحبة والتعظيم له، فهو الخالق المالك المتصرف المنعم، لجميع عوالم المخلوقات.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

المتصف بجميع معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، فهو ذو الرحمة العامة التي وسعت كل شيء في هذا الكون، والرحمة الخاصة التي تصل إلى عباده المؤمنين.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

المالك المتصرف في يوم الجزاء والحساب.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

نحن نخصك وحدك ياربنا بالعبادة، لا نشرك معك غيرك في أي نوع من أنواع العبادة، ونطلب العون منك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك لا يملك أحد منه مثقال ذرة.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

اللهم دلنا وأرشدنا ووفقنا إلى الطريق المستقيم وثبتنا عليه حتى نلقاك.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

طريق من أنعمت عليهم بالهداية والاستقامة من النبيين والصالحين الذي عرفوا الحق واتبعوه.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

أبعدنا ونجنا من طريق من غضبت عليهم وسخطت؛ لأنهم عرفوا الحق ولم يتبعوه، و عن طريق الذين ضلوا الحق لجهلهم وتقصيرهم في طلبه.

﴿آمين﴾

اللهم استجب.

لكل كلمته الأخيرة:

وبعد ذلك كله تبقى الكلمة الأخيرة لكل منا في حكمه على القرآن وموقفه منه ناجمة عن تجربته الشخصية في قراءته وتدارسه وتدبره، مع الحرص على انتقاء الترجمة المناسبة للغته إن لم يكن عربيًا.

وقد جاء في القرآن أن أعظم الدلائل على صدق نبوة محمد ﷺ ما نصل إليه بقلوبنا وعقولنا من نتائج بعد قراءتنا وتدبرنا لمعاني القرآن، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

ووجه الدعوة للجميع بالاطلاع على القرآن وتأمله وتدبره، وأنه لا يمتنع عن ذلك إلا من وضع الأقفال على قلبه وعقله ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

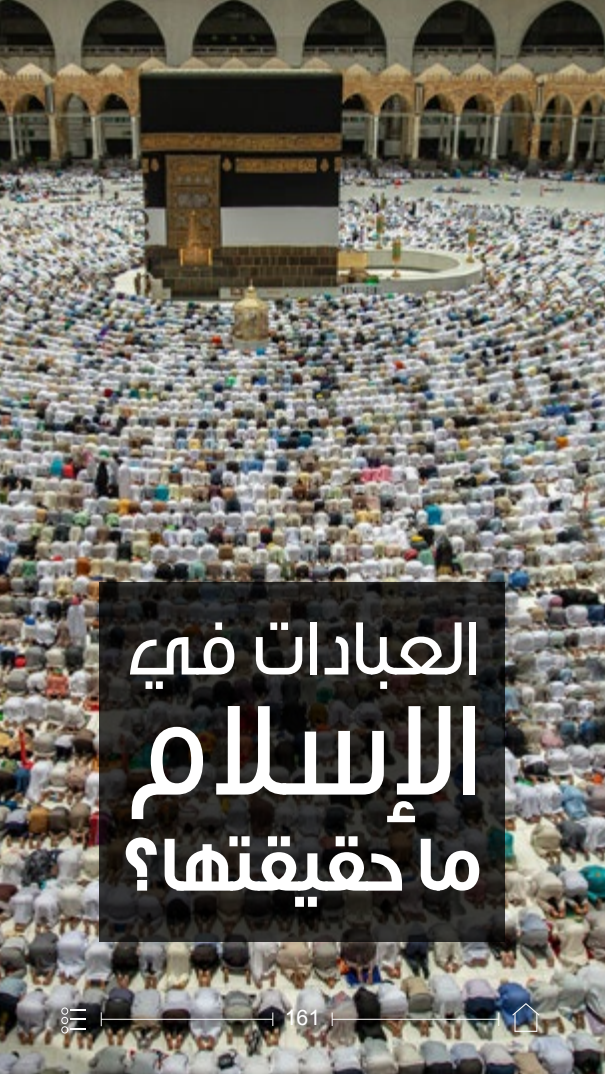

العبادات في الإسلام ما حقيقتها؟

هل الله محتاج لعبادتنا؟

الله جل وعلا ليس محتاجًا لعبادتنا وأعمالنا، والنجاة والخلاص في الإسلام ليست بمجرد الطقوس والشكليات والإتاوات المالية، وإنما بمدى صدق التوجه إلى الله والإيمان به، الذي يجب أن يترجم في الواقع برقي النفس والسلوك، والعمل لخدمة المجتمع البشري، والسعي لنهوضه.

هل الله محتاج لعبادتنا؟

الله جل وعلا ليس محتاجًا لعبادتنا وأعمالنا، والنجاة والخلاص في الإسلام ليست بمجرد الطقوس والشكليات والإتاوات المالية، وإنما بمدى صدق التوجه إلى الله والإيمان به، الذي يجب أن يترجم في الواقع برقي النفس والسلوك، والعمل لخدمة المجتمع البشري، والسعي لنهوضه.

قال الله في القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ • مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ • إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦ – ٥٨).

ولما استشكل وتساءل بعض الناس ما الاتجاه الصحيح لقبلة الصلاة -وذلك لأن الصلاة في الإسلام تكون إلى جهة مكة – تم التأكيد عليهم بأن حقيقة الدين في صدق الإيمان والتوجه وعمل الصالحات ونفع البشرية، وليس مجرد الاتجاه شرقًا أو غربًا، قال لهم: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

ويؤكد علينا القرآن مرة أخرى أن من اجتهد في العبادة والتدين، فإنما ذلك لنفع نفسه ونجاتها، أما من كفر فإنما هو الخاسر الوحيد، أما الله فغني عنا، كما قال: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت: ٦).

لما استشكل وتساءل بعض الناس ما الاتجاه الصحيح لقبلة الصلاة تم التأكيد عليهم بأن حقيقة الدين في صدق الإيمان والتوجه وعمل الصالحات ونفع البشرية، وليس مجرد الاتجاه شرقًا أو غربًا.

أركان الإسلام:

وهي أهم العبادات المأمور بها في الإسلام وهي كالتالي:

الإيمان والإقرار بإخلاص العبودية لله والاتباع لرسوله محمد، وذلك بأن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.
(انظر ص٥٥)

2

إقامة الصلوات المفروضة.

(انظر ص١٧٢)

3

إيتاء الزكاة للمستحقين.

(انظر ص١٨٠)

صوم شهر رمضان.
(انظر ص١٨٥)

حج بيت الله الحرام للقادرين ماليًا وبدنيًا. (انظر ص١٨٩)

لماذا التكليف والابتلاء؟

ما زال السؤال يتكرر وإن كان بصيغ مختلفة، فيقول أحدهم: كيف يخلق الله لنا فمًا وأسنانًا ومعدة لنأكل، ثم يقول: صوموا؟!، وكيف يخلق لنا الجمال والشهوة، ثم يقول: غضوا أبصاركم وتعففوا!، وربما تجرأ آخر وقال: لماذا يمنحنا القوة، ثم يمنعنا من الاعتداء على الآخرين وظلمهم؟

والحقيقة أن الأمر في غاية الوضوح في التصور الإسلامي، فالله أعطانا تلك القدرات والقوى لنتحكم بها، لا لتتحكم هي بنا.. فالله يعطيك الحصان لتركبه وتقوده، لا ليركبك ويقودك، وأجسامنا وقوانا هي خيولنا المخلوقة لنا؛ لنركبها ونقودها، ونلجمها، ونستخدمها في الوقت والمكان والطريقة الصحيحة، وليس العكس.

ومن هنا فمكانة الإنسان وتفوقه إنما هي في قدرته على التحكم في الشهوة، وقيادة الهوى والنفس، وتوجيه تلك القوى فيما ينفع.. وبهذا ميز الله الإنسان وهيأ له ساحة الاختبار.. ولهذا خلقنا الله.

كما في القرآن: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا • إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٢-٣).

وكل ما يصيب الإنسان من المصائب والمعاناة ما هو إلى اختبار إضافي لنطور أوضاعنا الروحية والأخلاقية والإيمانية، ولنعيد تذكر هدفنا وموقعنا من هذه الحياة، كما جاء في القرآن: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ • الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥، ١٥٦).

مكانة الإنسان وتفوقه إنما هي في قدرته على التحكم في الشهوة، وقيادة الهوى والنفس، وتوجيه تلك القوى فيما ينفع.

وهكذا فالحياة الدنيا هي المجال المتاح لنا للتقدم والتقهقر الإيماني والخلقي، والله سبحانه وإن كان قد منحنا الفرص المتكررة للهداية والتصحيح ولكنه لم يجبرنا عليها، بل ترك لنا الباب مفتوحًا للاختيار، ووجهنا لعمارة الأرض، ونفع البشرية، والاستفادة من أخطائنا واجتهاداتنا، على أن نعود ونتوب إليه كلما ظهر لنا الخطأ والزلل، وقد قال النبي الكريم محمد ﷺ: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم» (مسلم ٢٧٤٩).

الصلاة

ربما سبق أن تساءلت عن حقيقة الأمر عندما رأيت ذلك المشهد العجيب مباشرة، أو في وسائل الإعلام، حيث إن مسلما أو أكثر قد توجهوا باتجاه محدد، وبدؤوا بالقيام والركوع والسجود، وكأنهم انقطعوا عن الدنيا حولهم..

فما هي صلاة المسلمين؟

تكتسب الصلاة أهميتها الكبرى في الإسلام؛ لأنها الطريق الأهم للقرب من الله ودعائه والخضوع له، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩)، ولهذا فهي تعتبر الركن الثاني من أركان الإسلام بعد النطق بالشهادتين.

قال عليه الصلاة والسلام: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة..» (البخاري ٨).

وإنما يؤجر المسلم على صلاته -كما يعلمنا الإسلام- بقدر اجتهاد المصلي في تصفية قلبه، وجمع همته، وتركيز مشاعره، وصدق تضرعه إلى الله وإحساسه بالقرب منه بما يعطي للنفس طمأنينتها وسكونها ولهذا كانت الصلاة أعظم لذة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا يوجهنا القرآن إلى أن نقيم الصلاة، وليس فقط أن نؤديها؛ لأن الإقامة الحقيقية تشترك فيها جميع الأعضاء مع العقل والقلب والروح.. وأننا إذا فعلنا ذلك كانت الصلاة لنا خير داعم لفعل الخيرات، والبعد عن الجرائم والموبقات، فذكر الله والالتجاء إليه أعظم ما يفعله الإنسان على الإطلاق.

قال الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

الصلاة أفعال وأقوال لإكبار الله وتعظيمه في النفوس.

ومن ظن أن الصلاة مجرد رياضة بدنية يسبقها اغتسال ونظافة، فقد فاته أن ما رآه من حركات الصلاة ما هي إلا أفعال وأقوال لإكبار الله وتعظيمه في النفوس، فأول كلمة ينطقها المصلي مع رفع يديه: (الله أكبر)، ثم يركع بكل خشوع مستشعرًا عظمة الله، معترفًا بعجزه، ويقول: (سبحان ربي العظيم)، ثم يسجد لله طالبًا قربه وجواب دعائه، ويضع جبهته وأنفه على الأرض، قائلًا: (سبحان ربي الأعلى)، ويدعو ربه ويسأله.. وهكذا كل أفعال الصلاة وأقوالها ليست مجرد حركات وتمتمات، بل هي لحظات شديدة الغنى، تصل المؤمن بربه وخالقه الذي يستمد منه وجوده وسعادته.

وقد فرض الله على المسلمين خمس صلوات في كل يوم وليلة، يصح أداؤها في أي مكان، ومع ذلك فقد حثهم على أن تكون في المساجد لتتعمق صلة المسلمين ببعض، وتقوى روابطهم، ويعين بعضهم بعضًا على أمور الدين والدنيا.

كما حثَّ الإسلام على الاجتهاد في النوافل (وهي الصلوات غير المفروضة)، متى ما وجد المسلم نشاطًا لذلك.

ويؤدي المسلمون صلاتهم وهم متجهون إلى جهة الكعبة، وهي بناء مكعب الشكل أول من بناها إبراهيم الموصوف بأبي الأنبياء -عليه السلام- في مكة غرب الجزيرة العربية، وحج إليها الأنبياء عليهم السلام، ويعلم المسلمون أنها أحجار لا تضر ولا تنفع، ولكن الله أمر بالتوجه إليها في الصلاة ليتوحد المسلمون جميعًا إلى جهة واحدة.

كانت الصلاة أعظم لذة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

الأذان:

يسمى النداء الذي ينبه الناس لدخول وقت الصلاة، ويدعوهم للقدوم إلى المسجد (الأذان).

وهو نوع من ذكر الله وتعظيمه، وتهيئة المسلمين لحضور الصلاة، وهذه ألفاظه:

١. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

٢. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.

٣. أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله.

٤. حي على الصلاة، حي على الصلاة.

٥. حي على الفلاح، حي على الفلاح.

٦. الله أكبر، الله أكبر.

٧. لا إله إلا الله.

المسجد الحرام أعظم المساجد عند المسلمين وفيه الكعبة التي بناها النبي إبراهيم وهي بناء مكعب أُمر المسلمون في القرآن بالتوجه إليه من أي مكان في العالم لأداء الصلاة، مع اعتقادهم أنها لا تضر ولا تنفع.

الزكاة

يوقن الجميع بأنه لا بد من حلّ لثنائية الغنى الفاحش والفقر المدقع، وأنه بقدر حجم الهوة بين الأغنياء والفقراء يكون قدر تهاوي المجتمع ووقوعه في الرذيلة والإجرام والتفكك. وقد تنوعت الأنظمة الاقتصادية، والفلسفات الفكرية، والتشريعات القانونية في علاج تلك المشكلة.. فكيف تعامل معها الإسلام؟

فرض الله على المسلمين الأغنياء كل عام أن يخرجوا ٢,٥٪ من أموالهم الزائدة عن مقتنياتهم الشخصية؛ لتصرف على من يحتاجها من الفقراء والمساكين ونحوهم، وجعل ذلك الركن الثالث من أركان الإسلام.

وليس في الزكاة تفضل من الغني على الفقير، بل حق للفقير يؤخذ من أموال الغني، ويصل للمحتاج دون احتياجه إلى السؤال، أو امتهان الكرامة.

وهذا القدر اليسير من الإنفاق هو القدر الواجب على المسلم الغني، أما الحد الأعلى من الإنفاق فميدان مفتوح للناس ليتنافسوا فيه، فيجدوا أثر ذلك البذل في حياتهم صحة ومالًا، وتوفيقًا وسعادة، وفي الآخرة أجرًا ونعيمًا مضاعفًا.

كما جاء في القرآن: أن الباذلين أموالهم من أجل رضا الله مثل حبة قمح زرعت فأنبتت سبع سنابل وفي كل سنبلة منها مائة حبة فتضاعفت سبعمائة مرة ولكن الله يزيدها، ذلك بقدر صدق الباذل ونيته فالله واسع الكرم عليم بحقائق الأمور ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

ويخبرنا القرآن أن بذل المال للمحتاج تطهير للنفس، وتزكية لها، فيقول مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣).

ويخبرنا أيضًا أن من يبخل بماله، ويمتنع عن البذل، وإعانة الفقراء والمساكين، هو أول الخاسرين؛ لأنه يبخل على نفسه بالسعادة الدنيوية والأخروية.

جاء في القرآن: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

وبتطبيق هذا الركن العظيم من أركان الإسلام يتحقق مفهوم الضمان الاجتماعي، والتوازن النسبي بين فئات المجتمع، فبإخراج الزكاة إلى مستحقيها لا تبقى الثروة المالية مكدسة في فئات محصورة من المجتمع ومحتكرة لديهم، ولهذا حصل في تاريخ المسلمين الأوائل عدة مرات أن يطاف بالزكاة والمساعدات في البلاد ليبحث لها عن محتاج فلا يجدون.

كما يتحقق مبدأ الترابط والألفة، ذلك لأن النفس البشرية جبلت على حب من أحسن إليها، وبذلك يعيش أفراد المجتمع المسلم متحابين متماسكين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وتقل حوادث السرقة والنهب والاختلاس.

ليس في الزكاة تفضل من الغني على الفقير، بل حق للفقير يؤخذ من أموال الغني، ويصل للمحتاج دون احتياجه إلى السؤال، أو امتهان الكرامة.

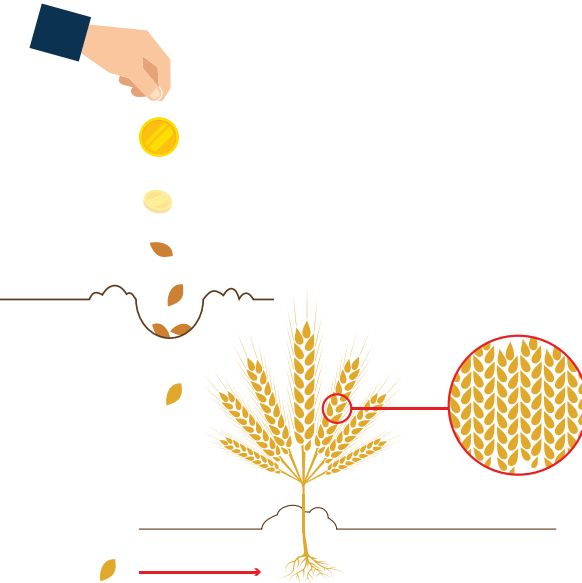

يشبه القرآن الباذلين أموالهم من أجل رضا الله مثل حبة قمح زرعت فأنبتت سبع سنابل وفي كل سنبة منها مائة حبة فتضاعفت سبعمائة مرة.

الصيام

كلنا يعجب بمن يتحكم في نفسه، ويستطيع الامتناع عن الطعام، أو أنواعٍ منه، محافظة على صحته، وتخفيفًا لوزنه، أو امتثالًا لتوجيهات الطبيب.. ونعتبر ذلك نجاحًا وإنجازًا لقدرته في السيطرة على شهواته لتحقيق هدف أعظم وأهم..

والمسلم بصيامه يصنع أعظم من ذلك تدريبًا لنفسه، وتحكمًا في ذاته وشهواته، وامتثالًا لأوامر أحكم الحاكمين.

ينبه نبي الإسلام على أن من لم يتغير واقعه وتتحسن أخلاقه بعد الصيام لم يستفد من صيامه.

والصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام، فيوجب الإسلام على القادر أن يصوم ويمسك عن المفطرات، وهي: الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كل يوم في شهر رمضان، وهو الشهر التاسع في التقويم القمري الإسلامي.

ويخبرنا القرآن أن الصيام كان قد كتب على الأمم السابقة وإن كان بطرائق مختلفة أحيانًا، ولكن المقصود منه واحد لا يتغير، وهو: تحقيق العبودية لله وتقواه.

قال الله في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ١٨٣).

وعندما ينتصر المسلم على شهواته المباحة لساعات محددة كل يوم في أيام معدودة، يكون بذلك سيد نفسه، قادرًا على التحكم فيها، ولجمها عن الوقوع في الشهوات المحرمة في بقية أحوال

حياته، ولهذا ينبه النبي ﷺ على أن من لم يتغير واقعه وتتحسن أخلاقه بعد الصيام لم يستفد من صيامه، قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (البخاري ١٨٠٤).

ويصير جوع الصائم أو عطشه أعظم حافز له لمساعدة الفقراء والجائعين الذين لا يجدون الطعام أو الشراب رغمًا عنهم، وليس باختيارهم؛ لأنه قد جرَّب شيئًا من معاناتهم.

يخبرنا القرآن أن الصيام كان قد كتب على الأمم السابقة وإن كان بطرائق مختلفة أحيانًا، ولكن المقصود منه واحد لا يتغير، وهو: تحقيق العبودية لله وتقواه.

عندما يفرض الإسلام على المسلم الصيام فإنه يذكره بجوع الفقراء وحاجتهم للطعام.

الحج

لا تخلو معظم الديانات من رحلة دينية يظهر الناس فيها تعبدهم وابتهالهم لخالقهم.. ولكن تبقى الرحلة الأشهر والأضخم من حيث الأعداد سنويًا هي رحلة الحج في الإسلام، إذ يجتمع سنويًا ما يزيد عن ثلاثة ملايين مسلم في بقعة صغيرة لأداء تلك الرحلة المقدسة.

فما هو الحج في الإسلام؟

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، ولا يجب إلا مرة واحدة لمن كان لديه القدرة المالية والبدنية.

وهو رحلة عظيمة تختفي فيها الطبقات والجنسيات، والأعراق والأزياء والأموال، فالكل بلباس واحد، ولون واحد، يصدحون بنداء واحد، يجسد حقيقة العلاقة بين الإنسان وربه: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك). أي: استجابة لك يا رب يعقبها استجابة، يا رب قدمنا ونحن نلهج بألسنتنا ونقر بقلوبنا أنك الوحيد المستحق للعبادة دون غيرك، وأنت المستحق للحمد والثناء الكامل، فأنت الخالق والمنعم والملك لا شريك لك.

فالحج عبارة عن رحلة إيمانية يتقلب فيها المسلم بين أحوال وأفعال وأقوال، يقصد منها جميعًا ذكر الله وتقواه، وإظهار الفقر والحاجة له سبحانه، وطلبًا للمغفرة والثواب من الله قال محمد ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعي في الحج لإقامة ذكر الله» (ابن أبي شيبة ١٥٣٣٤).

لباس قاصد مكة لأداء عبادة الحج بعد أن خلع لباسه الاعتيادي ولبس قطعتين من القماش لإعلان الخضوع لله والتساوي مع كل من أتى يقصد الحج.

الأسرة في الإسلام

يصدق القول في كثير من الأسر في العصر الحاضر أنها عبارة عن مجموعة من الأفراد لديهم مفاتيح متعددة لبيت واحد!

صار كثير من الأشخاص للأسف يتهرب من تحمل مسؤولية حقيقية تجاه زوجة أو أولاد، فما الذي يمنعه من أن يستمتع ويقضي ملذاته بدون تحمل تلك المسؤولية؟

ولئن ظهر هذا التوجه بوضوح في هذا العصر إلا أنه كان يراود بعض الناس منذ فجر التاريخ؛ وهو في الحقيقة نزعة ساذجة للمصلحة الفردية والأنانية المقيتة بغض النظر عن العواقب على الفرد والمجتمع.

ومن هنا جاء الإسلام وركز جُلَّ عنايته بهذه الأسرة، بنظامها وحقوقها وواجباتها تجاه أفرادها؛ لأن البيت والأسرة في الإسلام هي مركز الوعي والتربية والنهضة، وببنائها وصلاحها وأدائها لرسالتها يكون صلاح المجتمع بأسره.

ويظهر ذلك التركيز في أحكام لا تحصى، ومنها:

1

أكد الإسلام على مبدأ الزواج وتكوين الأسرة:

- **جعل الإسلام الزواج** وتكوين الأسرة من أجل الأعمال ومن سنن المرسلين، ولما أراد بعض أصحاب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن يتفرغوا للعبادة، ويواصلوا الصلاة والصيام، ويتركوا الزواج، قال لهم موجهًا: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (البخاري ٤٧٧٦).

- **أمر بتيسير الزواج**، ووعد بإعانة من يريد النكاح، كما قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم» وذكر منهم: «والناكح الذي يريد العفاف» (الترمذي ١٦٥٥).

- **عندما يتحدث** القرآن عن المنن والآيات على بني آدم يذكر في أوائل ذلك ما خلقه الله من السكن والمودة والرحمة والأنس بين الرجل وزوجته، كما في القرآن: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

- **أمر الشباب** في شدة عنفوانهم وقوتهم بالزواج، لما فيه من السكن والاطمئنان لهم، وإيجاد الحل الشرعي لقوة شهوتهم ورغبتهم.

عندما يتحدث القرآن عن المنن والآيات على بني آدم يذكر في أوائل ذلك ما خلقه الله من السكن والمودة والرحمة والأنس بين الرجل وزوجته.

2

أعطى الإسلام كل فرد من أفراد الأسرة كامل الاحترام، سواء كان ذكرًا أم أنثى:

فجعل الإسلام على الأب والأم مسؤولية عظيمة في تربية أبنائهم، قال الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» (البخاري ٨٥٣).

3

حرص الإسلام على غرس مبدأ التقدير والاحترام للآباء والأمهات، والقيام برعايتهم وطاعة أمرهم إلى الممات:

فمهما كبر الابن أو البنت، فيجب عليهما احترام والديهما والإحسان إليهما، وقد قرن ذلك بعبادته سبحانه، ونهى عن التجاوز في اللفظ والفعل معهما حتى ولو كان ذلك بإظهار كلمة أو صوت يدل على التضجر منهما، قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

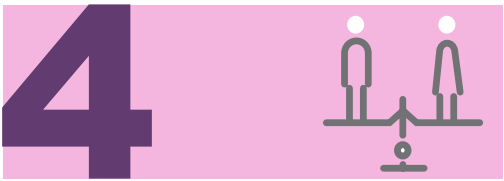

أمر بحفظ حقوق الأبناء والبنات ووجوب العدل بينهم في النفقة:

قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» (أبو داود ١٦٩٢). وقال ﷺ في شأن الرعاية والإنفاق على البنات خاصة: «من يلي من هذه البنات شيئًا، فأحسن إليهن، كنَّ له سترًا من النار» (البخاري ٥٦٤٩).

5

فرض على المسلم صلة الرحم:

ومعنى ذلك: تواصل الإنسان وإحسانه إلى أقاربه من جهة أبيه وأمه، وعَدَّ ذلك من أعظم القربات والطاعات، وحذر من القطيعة معهم، أو الإساءة إليهم، وعَدَّ ذلك من الكبائر، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (مسلم ٢٥٥٦).

نهى الإسلام عن التجاوز في اللفظ والفعل مع الوالدين حتى ولو كان ذلك بإظهار كلمة أو صوت يدل على التضجر منهما.

مكانة المرأة في الإسلام

نظرة عاجلة على الإعلانات في التلفاز، أو اللوحات على الطريق، أو في أغلفة المجلات، تشعرنا بعظم الجناية التي جنتها الحضارة المادية على المرأة، والتي في كثير من الأحيان لم تر فيها إلا دمية، أو سلعة، أو متعة لإثارة الرغبة والشهوة، وإشعال الخيال..

ربما لم يكن ذلك إلا وجهًا آخر أقل تشوهًا في الظاهر لما كانت عليه المجتمعات البدائية؛ من إهانة المرأة، وجعلها متاعًا وسلعة تباع وتشترى.

والمرأة التي طالما عانت من الظلم والاضطهاد لم تُرد عبر نضالها الطويل أن تخرج من ذلك الباب الموحش لتعود إلى ذات المكان -لكن من باب أقل تشوهًا-.

ومنذ أن جاء الإسلام قبل ١٤٠٠ عام كان قد أحدث ثورة حقيقية ضد السلوكيات الجائرة التي طالما ظلمت المرأة، ووضع لها من القوانين وأدق تفاصيل الأحكام ما يحفظ حقوقها ومكانتها، وتحيا به عزيزة مكرمة، تؤدي رسالتها في الحياة على أكمل وجه.

ولهذا سميت إحدى أطول سور القرآن سورة النساء لما فيها من الأحكام التفصيلية للمرأة، وحكى الله لنا في القرآن قصص العديد من النساء الصالحات، بل وسمى إحدى السور باسم مريم أم عيسى -عليهما السلام-.

فجاء الإسلام ليغير زاوية النظر إلى المرأة لتكون كما خلقها ربها إنسانًا لا سلعة، وشريكة عمر لا شريكة ليلة، وسكن ومودة ورحمة لا مجرد شهوة ولذة ومتاع..

ومن أمثلة الأحكام المتعلقة باحترام المرأة ما يلي:

- **أعطى** المرأة حرية اختيار الزوج، وجعل عليها جزءًا كبيرًا من المسؤولية في تربية الأبناء، قال ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (البخاري ٨٥٣).

- **أبقى** لها اسمها وشرف انتسابها لأبيها، فلا تتغير نسبتها بعد الزواج، بل تبقى منتسبة لأبيها وعائلتها.

- **أكد** على شرف وفضل خدمة المرأة الضعيفة التي ليس لها أحد، ولو لم تكن من الأقارب، ورغّب في السعي لخدمتها، وجعل ذلك من أفضل الأعمال عند الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» (البخاري ٥٦٦١).

- **ساوى** بين الرجل والمرأة في شؤون كثيرة مختلفة، ومن ذلك جميع التعاملات المالية، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «النساء شقائق الرجال» (أبو داود ٢٣٦).

- **أوجب** على الرجل رعايتها والإنفاق عليها بدون منّة، إن كانت ممن تجب نفقتها عليه؛ كالزوجة، والأم، والبنت.

- **أعطى** الإسلام المرأة حقها من الميراث في قسمة عادلة كريمة، تساوي الرجل بالمرأة في مواضع، ويختلف نصيبها عنه في مواضع زيادة أو نقصًا، بحسب قرابتها وتكاليف النفقة المناطة بها. ومن السطحية وقصر النظر أن يركز أحدهم إلى نقص نصيب المرأة عن نصيب الرجل في بعض المواضع، ولا ينظر في مقابل ذلك إلى ما أوجب الله على الرجل من التكاليف المالية، كالنفقة على المرأة؛ فالإسلام منظومة متكاملة متوازنة لا يطغى فيه جانب على جانب.

أعطى الإسلام المرأة حقها من الميراث في قسمة عادلة كريمة، تساوي الرجل بالمرأة في مواضع، ويختلف نصيبها عنه في مواضع زيادة أو نقصًا.

في الوقت الذي تتهم فيه بعض الأقلام الإسلام بظلم المرأة والتعدي على حقوقها وعدم توافقه - على حد قولهم- مع متطلبات العصر والحضارة، نجد ٧٥٪ من الداخلين الجدد في الإسلام في دولة متقدمة مثل بريطانيا هم من النساء، لا سيما بعد دراستهم لأحكام الإسلام وتشريعاته تجاه قضايا الأسرة والعائلة!!

INDEPENDET 6- 11 -2011

نساء أكد الإسلام العناية بهن:

الأم: وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال ثم من؟ قال: «ثم أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» (البخاري ٥٦٢٦).

البنت: وقد قال ﷺ: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جِدَتِه، كُنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة» (ابن ماجه ٣٦٦٩).

الزوجة: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي ٣٨٩٥).

علاقة الرجل والمرأة في الإسلام علاقة تكامل لا صراع، فيسد كل واحد منهما نقص الآخر في بناء المجتمع المسلم.

لا مكان للصراع بين الجنسين في الإسلام:

في الإسلام لا مكان لمعركة وصراع بين الجنسين، ولا معنى للتنافس على أعراض الدنيا، ولا طعم للحملة على المرأة، أو الحملة على الرجل، ومحاولة النيل من أحدهما وثلبه وتتبع نقائصه!

فكيف يحارب الإنسان نصفه الثاني، وكيف يصارع الشقيق شقيقه، فالمرأة كما يقول الرسول الكريم شقيقة الرجل ونصفه الآخر، والعلاقة بينهما تكاملية، يسد كل واحد منهما نقص الآخر في بناء المجتمع المسلم.

ويصور القرآن هذا التكامل بصورة بديعة حين يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

فما يراه الرجل لأول وهلة ضعفًا في المرأة، ما هو إلا وجه آخر لنوع من القوة لا يحسنه ولا يستطيعه الرجل، ولكن الأسرة بحاجة إليه.. وما تراه هي نقصًا في الرجل، ربما كان مظهرًا لنوع من الإمكانات التي لا تناسبها، ولكن الحياة والمجتمع لا يستقيم بدونها..

فمن العبث أن يخلق الله لجنس الإنسان نوعين (الرجال والنساء)، ثم يُقال: يجب أن يكون النوعان متماثلان في كل شيء.

ولما تمنى بعض الرجال ما أعطي للنساء من حقوق، وتمنت بعض النساء ما أعطي الرجال من الحقوق، نزلت آياتٍ من القرآن الكريم تقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٢)، فلكل خصائصه ووظائفه وتكريمه، والكل يسعى للقيام بدوره ابتغاء فضل الله ورضوانه، فالشرع لم يأت لحساب الرجال، ولا لحساب النساء، ولكن لحساب الإنسان ولحساب الأسرة ولحساب المجتمع المسلم.

العلاقة بين الرجل والمرأة:

كان تنظيم وضبط العلاقة بين الرجل والمرأة في الحدود والقوانين والعادات والسلوكيات المنظمة لها مما تعددت فيه اجتهادات واختيارات البشرية عبر تاريخها بما يصعب حصره أو تتبعه، لكن كتب التاريخ والأنثروبولوجيا تحدثنا عن أقوام لا يرون بأسًا بالعري التام والفوضى الجنسية العارمة للجنسين، إلى قوم يقيدون المرأة بالحديد خوفًا عليها، إلى آخرين يغطون الرجال دون النساء، أو يهتمون بتغطية أجزاء دون أخرى، وغير ذلك مما يصعب حصره..

وأغلب الشعوب عبر التاريخ -لا سيما من نالت قدرًا من الحضارة- كانت ترى أن العلاقة بين الرجل والمرأة بحاجة إلى نظام وقانون يحكمه، حتى لا تتحول الحياة إلى غابة أو حظيرة، تزول فيها كل الفوارق بين الإنسان والحيوان.

أغلب الشعوب عبر التاريخ -لا سيما من نالت قدرًا من الحضارة- كانت ترى أن العلاقة بين الرجل والمرأة بحاجة إلى نظام وقانون يحكمه، حتى لا تتحول الحياة إلى غابة أو حظيرة، تزول فيها كل الفوارق بين الإنسان والحيوان.

طبيعة علاقة الرجل والمرأة في الإسلام:

علاقة الرجل بالمرأة في الإسلام ليست اجتهادًا بشريًا محدودًا بعوامل التاريخ والجغرافيا، ولكنه نظام متكامل صالح لكل زمان ومكان، أنزله الله في القرآن الكريم وعلمه الرسول الكريم محمد ﷺ للناس.

وهذه العلاقة تختلف طبيعتها وحدودها بحسب موقع المرأة من الرجل.كما يوضح الإسلام.

والرجال بالنسبة للمرأة في الإسلام ينقسمون إلى أقسام:

١ أن يكون الرجل هو زوجها:

ولا أدل وأبلغ على طبيعة تلك العلاقة بين الزوجين من وصف القرآن لها، فقد سمّى الله الزوج لباسًا للزوجة، والزوجة لباسًا للزوج، كصورة رائعة من الاتصال النفسي والعاطفي والجسدي بينهما، فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٢ أن يكون الرجل أجنبيًا عنها:

والمراد بالرجل الأجنبي: هو كل رجل ليس من محارمها.

٣ أن يكون من محارمها:

والمقصود بالمحارم كل من يحرم عليها الزواج به تحريمًا مؤبدًا لأجل القرابة الشديدة، وهم ١٣ نوعًا من الرجال الأقارب؛ كالأب، والجد، والابن، والأخ، والعم، والخال، وابن الأخ أو الأخت، وابن الابن أو البنت، وغير ذلك.. وتظهر المرأة أمام قرابتها من المحارم بدون حجاب كامل، وإنما على طبيعتها بدون عري.

وقد وضع الإسلام الضوابط والقوانين التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، حمايةً للأعراض وسدًا لأبواب الشيطان على الإنسان، فمن خلق الإنسان أعلم بما يصلح له، كما جاء في القرآن: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

لماذا شرع الإسلام الحجاب أمام الرجال الأجانب؟

- **حتى تتمكن المرأة من أداء رسالتها** في الحياة والمجتمع في المجالات العلمية والعملية على خير وجه مع الحفاظ على كرامتها وعفتها.
- **تقليل وتخفيف فرص الغواية والإثارة** لضمان طهارة المجتمع من جهة، ولحفظ كرامة المرأة من جهة ثانية.
- **إعانة الرجال الناظرين إلى المرأة على العفة والانضباط**، فيتعاملون معها كإنسان يتمتع بمثل ما يتمتعون به من المقومات الثقافية والعلمية، لا على أنها كتلة من المهيجات الغريزية، وأداة للهو والمتعة فحسب.

ضوابط العلاقة بين الرجل والمرأة الأجنبية:

١ غض البصر:

أمر الله الجنسين جميعًا بغض البصر بمعنى عدم النظر إلى ما يهيج الغرائز لأنه طريق للعفاف وحفظ الأعراض، كما أن إطلاق البصر بلا حدود طريق الآثام والفواحش، كما في القرآن: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ● وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠-٣١).

٢ التعامل بأدب وخلق:

فيتعامل الرجل والمرأة في أمور العمل، أو العلم، أو غير ذلك بكل أدب واحترام، مع البعد عن كل ما فيه تحريك للغرائز بأي طريقة كانت.

٣ الحجاب:

شرع اللّه الحجاب على المرأة دون الرجل لما أودع فيها من مظاهر الجمال وعوامل الإغراء، مما يجعلها فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة لها، ولهذا نجد أن الغالب من التاريخ القديم وإلى يومنا هذا أن تستغل المرأة لشهوة الرجل لا العكس، وهذا ما نراه باديًا للعيان في وسائل الإعلام المختلفة اليوم.

وحدود ذلك الحجاب في الإسلام أن تغطي المرأة جميع بدنها إلا وجهها وكفيها أمام الرجال الأجانب، كما أمر القرآن﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣١).

يتغافل كثير من المنتقدين للحجاب في الإسلام أن صورة أعظم النساء في التاريخ -كما في رسومات مريم البتول- لا تظهر إلا بالحجاب وهو أشبه ما يكون بحجاب المسلمين.

قانون الإسلام في الطعام والشراب

عادة

عادة مايكون أول الأسئلة التي يطرحها من أراد اكتشاف الإسلام: لماذا يحرمون الكحول والخنزير؟

عادة مايكون أول الأسئلة التي يطرحها من أراد اكتشاف الإسلام: لماذا يحرمون الكحول والخنزير؟

وللإجابة على ذلك لابد من توضيح مهم:

أباح القـرآن للمسلمين جميع ما على الأرض للانتفاع به، وقد جاء نص القرآن في ذلك صريحًا ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩).

ومن ذلك الطعام والشراب، فالجميع مباح إلا ما استثني في القرآن لخبثه وضرره بالصحة، أو ذهاب العقل، وربما يهمك أن تعرف عن تحريم الخنزير والكحول.

الخنزير:

جاء تحريم أكل الخنزير بأسلوب صريح في القرآن، مع أن الخنزير لم يكن معروفًا عند العرب حينئذ، ويستغرب البعض هذا التحريم وينتقده مع أن ذلك ليس خاصًا بالمسلمين بل هو محرم عند اليهود كما هو معلوم، ونصوص ذلك ظاهرة في العهد القديم، ولكن المثير للدهشة أن كثيرًا من علماء الأديان أثبتوا بأن الخنزير محرم أيضًا عند النصارى بنصوص واضحة في العهد الجديد، ولكن ذلك تم تحريفه وتغييره بعد ذلك انظر: (إنجيل مرقس ١١/٥-١٣، متى ٦٧، رسالة بطرس الرسول الثانية ٢٢/٢، لوقا ١١/١٥).

وما المانع في أن يبتلينا الله بمنع شيء من المأكولات بعد أن أباح لنا أكثرها؛ ليختبر إيماننا وطاعتنا له، كما امتحن آدمَ -عليه السلام- بعد أن أباح له الأكل من طيبات الجنة بتحريم أكله من شجرة بعينها؟

ما المانع في أن يبتلينا الله بمنع شيء من المأكولات بعد أن أباح لنا أكثرها؛ ليختبر إيماننا وطاعتنا له.

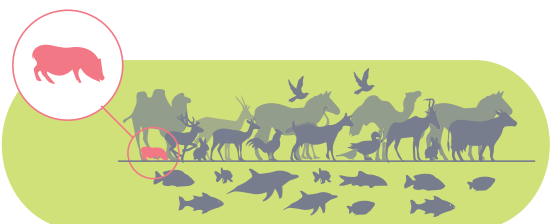

الخمور والكحول:

تعتبر محاربة الأوبئة والأمراض التي تدمر حياة البشرية، ووضع القوانين والأنظمة الصارمة لحفظ صحة الناس وحياتهم من أهم أعمال الدول والحكومات، وأي خلل فيها يعود على الفرد والمجتمع بأسوأ الآثار وأشنعها..

وربما تكون المعلومة الصادمة لنا جميعًا أنه بحسب الدراسات الموثقة كتقارير منظمة الصحة العالمية، ودراسة أجرتها جامعة أكسفورد ونشرت في مجلة نيتشر بتاريخ:

15 275 483 March 2012 Nature وتقرير منظمة الصحة العالمية ٢٠١١/٢/١١ فإن عدد ضحايا الخمور سنويًا يزيد على عدد ضحايا الإيدز والملاريا والسل مجتمعة، وقرابة ثلاثة أضعاف ضحايا جميع الحروب، وعمليات الإبادة، والإرهاب في تلك السنة.. وإليك بعض هذه الأرقام التي تثبتها تلك الدراسة مع تقارير منظمة الصحة العالمية.

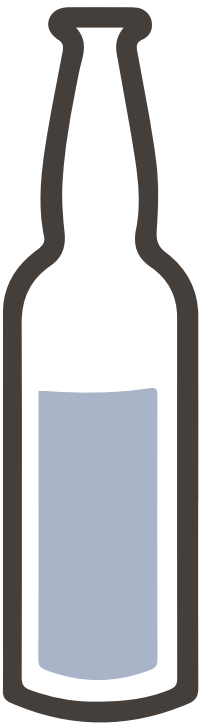

يموت سنويًا بسبب الكحول والإدمان أكثر من مليونين ونصف إنسان منهم ٣٢٠٠٠٠ شاب من الفئة العمرية ١٥–٢٩ سنة يقضون نحبهم كل عام في جميع أرجاء العالم لأسباب لها علاقة بالكحول، ممّا يمثّل ٩٪ من مجموع الوفيات السنوية التي تُسجّل بين تلك الفئة.

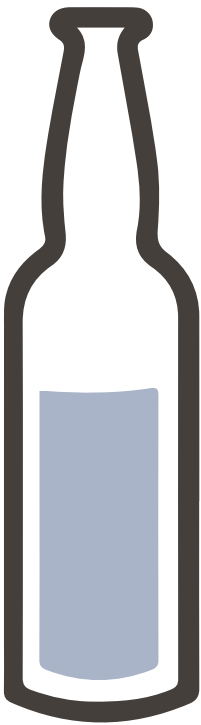

أظهرت دراسةٌ أمريكيةٌ أنّ **٧٠٠٠٠٠ طالب جامعة سنويًا يتعرّضون للتهجّم** من قبل طلاب آخرين، كانوا قد أفرطوا في شرب الكحول.

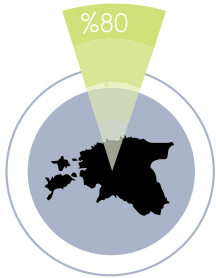

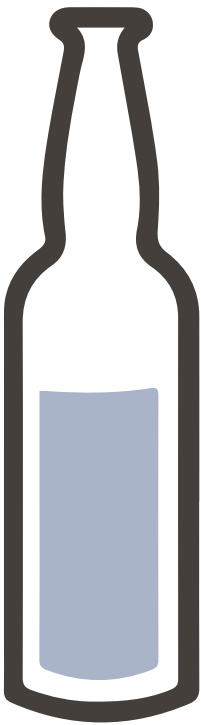

أظهر تقرير مُحَرَّر في عام ٢٠٠١ أنّ **٨٠٪ من جرائم العنف** المُرتَكَبَة من قبل الشباب في أستونيا، قد **تمّ ربطها بالإفراط في تناول الكحول.**

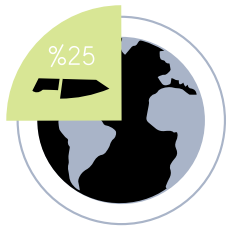

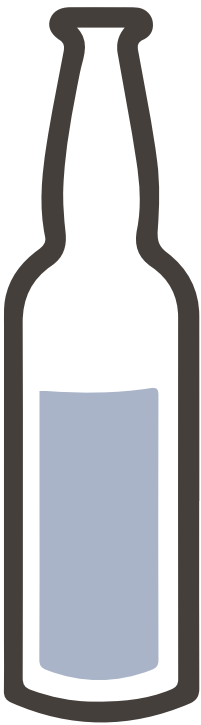

يُعَدّ الكحول متورّطًا في ربع جرائم القتل على الصعيد العالمي.

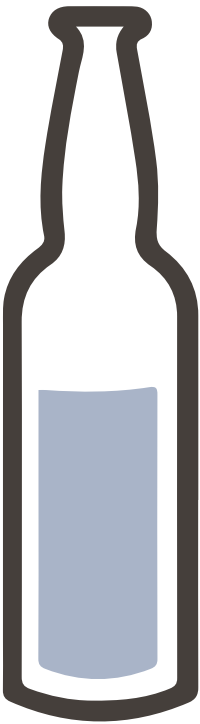

جميع بيانات وتقارير منظمة الصحة العالمية

تدعو الدول لأخذ التدابير والقوانين الصارمة التي تقلل، أو تمنع تلك المآسي اليومية بسبب الكحول.

في عام واحد في بريطانيا وحدها:

- كان هنالك ما يقرب من **مليون جريمة عنف مُرتبطة بالكحول**، وقد اعتُبر أنّ نحو نصف جرائم العنف بشكل عامّ كانت مُرتبطةً بالكحول من وجهة نظر الضحايا.
- يرتبط بالكحول قرابةُ **٧ ملايين قبولٍ في خدمات الحوادث والطوارئ** في المشافي، بكلفة تُقارب ٦٥٠ مليون جنيه استرليني بريطاني في العام على دافع الضرائب.إجمالاً.
- تُقَدَّر **التكاليف الكلّيّة للجريمة** والشغب المُرتبطَين بالكحول والواقعة على عاتق دافعي الضرائب بما يتراوح بين **٨ و١٣ بليون جنيه استرليني** سنويًا.

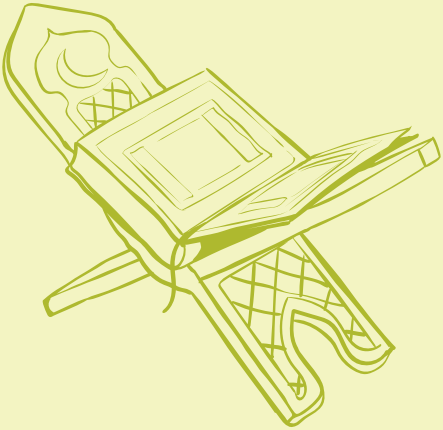

كيف تعامل القرآن مع الكحول والخمر؟

لم ينتظر الإسلام تقارير منظمة الصحة العالمية ليكتشف أثر الكحول على الفرد والمجتمع.. لأن الذي خلق الإنسان هو العالم بما يصلح حياته ومجتمعه..

لقد جاء الإسلام للعرب وهم حينها لا ينفكون عن السكر والشرب، والخمور بأنواعها هي أعظم متعهم وأنفسها.. فبها يتفاخرون وفيها يبذلون كل ما لديهم من مال.

فتعامل القرآن مع الأمر بطريقة غاية في المنطقية والعدل حين أقر للكحول بعض الفوائد والمنافع؛ إذ قد يجد متناولها لذة وراحة وقتية تذهب غمه وهمه.. ولكن أثر ذلك وعاقبته وخيمة، ويستحيل علاج آثارها وتبعاتها النفسية والسلوكية والصحية على الفرد والمجتمع، كما في القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

ثم جاء تأكيد النهي عنها وعدها من عمل الشيطان الذي يورث العداوة والبغضاء والصد عن معالي الأمور ومهماتها، وسئل الناس في القرآن ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟ فقال الناس:انتهينا..انتهينا، وسكبت الخمور في طرقات المدينة النبوية استجابة لأمر الله في القرآن.

الخطيئة
والتوبة

تعتبر فلسفة الخطأ والصواب أحد أهم الإشكالات الفكرية في عدد من الديانات والعقائد، وتختلف تلك العقائد فيما بينها في طريقة تعاملها مع الخطأ والذنب والتوبة والندم..

ينظر الإسلام بميزان دقيق إلى الطبيعة البشرية التي خلقها الله وجعل فيها نوازع الخير والشر، فهو لا يتعامل معها باعتبارها مَلَكًا مجبولًا على الخير، فيقرر أن كل ابن آدم خطَّاء، ولكنه في المقابل يحمله المسؤولية عن قراراته واختياراته، ومن هنا تأتي فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة، والتي يمكن اختصارها في التالي:

- **أول ما يصادفنا** في القرآن أن الخطيئة فردية والتوبة فردية في تصور واضح سهل لا تعقيد فيه ولا غموض، فليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده، بل كل إنسان يولد نقيًا من الذنوب لا يتحمل أي خطيئة سابقة، كما أنه لا يوجد شخص يملك حق المغفرة وتكفير الذنوب، كما أن خطيئة آدم -عليه السلام- كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وسهولة. وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة فردية كذلك، والطريق مفتوح للتوبة في تصور عادل واضح يوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط، ويحمِّل كل إنسان وزره فلا يؤخذ أحد بخطأ غيره، وهذا هو ما جاء به النبيون من عند الله كما أخبر القرآن: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ● وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ● أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ● وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ● وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ● ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (النجم: ٣٦-٤١).
- **التوبة** أحد أعظم العبادات والقُرَب عند الله تعالى لا تختص بأحد دون أحد، وهي لا تحتاج لمكان خاص ولا اعتراف أمام أحد من البشر أو الحصول على إذنه، بل هي عبادة بين الله

وعباده، فمن أسماء الله وصفاته التي وردت في القرآن ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، وها هو القرآن يعدد لنا صفات المتقين الذين سيدخلون الجنة فيؤكد وقوعهم في بعض الذنوب ولكنهم يسارعون بعد كل ذنب إلى التوبة وطلب المغفرة ﴿الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

لا تحتاج التوبة في الإسلام إلى أكثر من أن يقلع عن الذنب ويندم على فعله السابق ويعزم على أن لا يعود إليه مع إرجاع الحقوق لأهلها.

لا تحتاج التوبة في الإسلام إلى أكثر من أن يقلع عن الذنب ويندم على فعله السابق ويعزم على أن لا يعود إليه مع إرجاع الحقوق لأهلها إن كان هناك حقوق..

فإن حصل وعاد لخطئه مرة أخرى لم تُلغَ توبته الأولى ولم ترجع سيئاته عليه ولكنه أحدث ذنبًا جديدًا عليه أن يتوب منه مرة أخرى.

وهكذا يعيش الإنسان في الإسلام حالة من الاتزان بين حرصه على الكمال والرقي والبعد عن الأخطاء وبين معرفته لطبيعته البشرية التي كثيرًا ما تضعف وربما انحرفت عن مسارها.

وعليه في كل أحواله في حال نشاطه وتقواه أو تقصيره وانحرافه أن لا يفقد البوصلة بل يلجأ إلى الله ويتوب إليه ويستغفره.

وهنا يكمن الفرق بين الصالحين وغيرهم كما يقرر القرآن عندما يخبرنا أن حقيقة الفرق تكمن في أن المتقين إذا وقعوا في المعصية تذكروا وتابوا إلى الله، بخلاف أولئك الذين يصرون على أخطائهم من غير أن يتنبهوا أو يتعظوا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ • وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١-٢٠٢).

في الإسلام: ليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده، بل كل إنسان يولد نقيًا من الذنوب لا يتحمل أي خطيئة سابقة..

ثنائية
الدين والعقل

يظن البعض أن الدين يعارض العقل ويناقض المنهج العلمي؛ لأن الدين بنظره مصدر الأوهام والأساطير والتفكير الخرافي، في حين أن العلم والفلسفة هما طريقا الوصول إلى معرفة منظمة قد تصبح علمًا يقينيًا ثابتًا بتوفر شروط البحث والتفكير والتجربة.. وهذا الاعتقاد عند التأمل يحتوي على بعض الصواب وبعض الخطأ.

يظن البعض أن الدين يعارض العقل ويناقض المنهج العلمي؛ لأن الدين بنظره مصدر الأوهام والأساطير والتفكير الخرافي، في حين أن العلم والفلسفة هما طريقا الوصول إلى معرفة منظمة قد تصبح علمًا يقينيًا ثابتًا بتوفر شروط البحث والتفكير والتجربة.. وهذا الاعتقاد عند التأمل يحتوي على بعض الصواب وبعض الخطأ.

فالصواب يتمثل في وجود عدة أديان تصادر العقل وتناقضه أحياناً، فمصادرها وكتبها تعج بالأساطير والمعتقدات الخرافية التي تخالف الكون والعلم.

وأما الخطأ فيتمثل في إصدار حكم شامل على جميع الأديان بدون اعتبار للفروق النوعية الموجودة بينها فيما يخص مصدرها ومضامينها ومناهجها وأدلتها!

> **لا يحتاج المطلع على القرآن دقة ملاحظة ليجد أنه يستحث العقل ويدعوه للتأمل والتفكر .**

والمطلع على القرآن الكريم -المصدر الرئيس للإسلام- يعلم يقيناً أنه أعطى للعقل مكانة لا يجاريه فيها دين آخر، ولا يحتاج المطلع على القرآن دقة ملاحظة ليجد أنه يستحث العقل ويدعوه للتأمل والتفكر، حتى إنه كرر سؤال الاستنكار (أفلا تعقلون؟) أكثر من ثلاث عشرة مرة.

1

يخاطب القرآن الإنسان ذي العقل المنفتح المتحرر من كل أشكال الاستبداد والتكبر والخوف والجهل، فيدلل على وجوب الإيمان بالله بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية المتعددة، ومنها قوله ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ • أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥-٣٦).

2

يناقش أدلة المعارضين، ويرفض المقولات التي لا تعتمد على دليل ولا برهان، كما قال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

3

يذم من لا يعملون عقولهم، ويصفهم بأنهم كمن لا حواس لهم؛ لأنهم لا يستفيدون مما يرونه ويسمعونه لاتخاذ القرارات والخيارات الصحيحة، كما قال: ﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

4

حذَّر من موانع التفكير التي تعرض للإنسان، فلم يكتف القرآن بالحث على استخدام حواسنا وعقولنا واحترامها، بل نبهنا لمزالق العقول، نظرًا لكون الطبيعة الإنسانية تتجاذبها نوازع الخير والشر، مما يجعل الاستنتاجات عرضة للخطأ والزيغ عن الحق أحيانًا رغبة أو رهبة أو انخداعًا.

عوائق التفكير السليم كما يوضحها القرآن:

- **التقليد:** ذلك أن الإرث العقدي والسلوكي وعادات التفكير السلبية قد تؤثر في أسلوب التعقل والتفكير تأثيرًا كبيرًا يصعب معه قبول الحق وترك الباطل، وربما توقف التفكير تمامًا بحجة أن هذا ما اعتدتُ أو ولدتُ عليه، كما يحكي لنا القرآن عن بعض من يظهر لهم الحق ويمنعهم التقليد عن اتباعه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ !! (البقرة: ١٧٠).
- **العناد والكبر:** ذلك أن العقل قد يظهر له الصواب فيمتنع عن قبوله والإذعان له ويرده حفاظًا على مصلحته أو مكانته أو حسدًا أو استنقاصًا للمصدر الذي جاء منه، كما قال الله في القرآن عن صنف من الناس: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).
- **الانغماس في الملذات:** فقد يعرف العقل الصواب، ولكنه لا يملك الشجاعة لاختياره؛ لأنه منغمس في لذَّاته، فيحكي لنا القرآن مثلًا لرجل أوتي علمًا ومعرفة وكان حريًا به أن يعمل بها ويطبقها في حياته ولكنه انسلخ من تلك العلوم واتبع هواه ومصلحته العاجلة وما ذاك إلا لأنه

انغمس في اللذات إلى الدرجة التي لم يعد فيها قادرًا على اتخاذ القرار الصحيح، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ • وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٥-١٧٦).

فالقرآن يدعو الإنسان دائمًا وفي كل المجالات لإعمال العقل والسؤال والنظر والتفكر والاعتبار في النفس والكون والخلق بلا اشتراطات مسبقة ولا قناعات مقيِّدة..

فإنما يخاف السؤال والتفكير من يُخفي في نفسه ما يعارضهما، فأما الدين الحق فلابد أن يكون من عند الله الذي خلق الإنسان وأودع فيه تلك الملكة العقلية، ولا يمكن أن يتعارض خلق الله مع دينه الذي شرعه للناس، فلماذا الخوف من السؤال وإعمال العقل إذن؟ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

يعتقد المسلم أنه لا يمكن أن يتعارض خلق الله مع دينه الذي شرعه للناس، فلماذا الخوف من السؤال وإعمال العقل إذن؟

الإسلام
دين السلام

يندهش بعض الناس -جراء ما يتكرر في وسائل الإعلام- إذا علموا أن السلام له مكانة استثنائية في الإسلام، فالمسلم يكرر لفظ السلام ويستشعر معانيه عدة مرات يوميًا.

السلام اسم من أسماء الله تعالى، وجنته في الآخرة اسمها دار السلام، وتحية المسلمين تبدأ بكلمة السلام، وتنتهي صلاة المسلمين بتكرار السلام مرتين، ويجمع ذلك أن اسم الدين ذاته هو (الإسلام) وما فيه من معنى السلام والطمأنينة.

وإذا كان الإسلام يدعو للسلام واحترام حقوق أضعف الحيوانات وأقلها حيلة ويخبرنا الرسول محمد ﷺ أنه «عُذِّبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (مسلم ٢٢٤٢) وأن عاهرًا دخلت الجنة بسبب كلب سقته، كما قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به» (البخاري ٣٢٨٠). فهو يسطر

أعجب الأمثلة والتشريعات في احترام حقوق الناس والتعايش معهم -مهما اختلفنا في الدين أو الفكر- حتى توعد النبي محمد ﷺ من ظلم غير المسلم أو آذاه أو كلفه من العمل فوق طاقته بأنه سيكون خصيمًا للرسول الكريم نفسه يوم القيامة، فقال: «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (أبوداود ٣٠٥٢).

> **توعد نبي الإسلام من ظلم غير المسلم أو آذاه أو كلفه من العمل فوق طاقته بأنه سيكون خصيمًا للرسول الكريم نفسه يوم القيامة.**

ولكن الإسلام حين يدعو للسلام مع الآخرين فهو بالتأكيد السلام الحق العادل الذي يعطي كل ذي حق حقه، ويرد الظالم عن ظلمه والمغتصب عن غصبه، وليست خدعة السلام التي تعطي اللص ما سرق وترضِّي صاحب الدار بالثمن البخس.

وتبقى لغة المصطلحات غير المحددة والحملات الإعلامية وسيلة يستخدمها كثير من الناس لتسويق روايته ووجهة نظره فلكل مشهد أكثر من زاوية ولكل قصة أكثر من رواية، وقلة من الناس من يحمل على عاتقه هم البحث عن الحقيقة ويتحدى الدعايات الإعلامية لينقب عن المعلومات من مصادرها ويحكم على الموقف بموضوعية واتزان.

وبين يديك بعض الحقائق للتأمل..

> قلة من الناس من يحمل على عاتقه هم البحث عن الحقيقة ويتحدى الدعايات الإعلامية لينقب عن المعلومات من مصادرها ويحكم على الموقف بموضوعية واتزان.

الإسلام هو أسرع الديانات انتشارا اليوم:

ينتشر الإسلام اليوم بسرعة عجيبة في أنحاء العالم من أمريكا إلى أوروبا وأفريقيا وآسيا (مركز PEW لأبحاث الديانات pewresearch.org) مع قلة الإمكانات، وضعف المسلمين، وتسلط وسائل الإعلام

العالمية لتشويهه عبر معلومات مغلوطة، وإشهار نماذج سيئة لا تمت إلى الإسلام بصلة، فهل انتشاره بسبب إجبار الناس، أو بسبب قناعة واختيار؟

إن الحقيقة المشاهدة لكل مطلع أن التزام المسلمين بحقوق الآخرين واحترام اختياراتهم وثقافاتهم، كان له أعظم التأثير على نفوس الآخرين وإقبالهم على هذا الدين، وأن ذلك لم يكن تفضلًا من المسلمين، ولكنه تطبيق وامتثال للقاعدة التي أكدها الله في القرآن بكل وضوح ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

هل أجبر الناس على الدخول في الإسلام؟

لطالما استخدم الإنسان القوة لفرض رأيه ونفوذه وتحقيق مصلحته، والتاريخ حافل بأمثلة على ذلك لجميع الأطياف من المنتسبين لأديان ومذاهب شتى.

فيشهد التاريخ مثلًا أن عمليات تصفية مروعة حصلت للسكان الأصليين إبان وصول المكتشفين والمهاجرين إلى العالم الجديد حتى وصف القس الإسباني بارتولومي ذلك بقوله بعد مشاهدته تلك المذابح: «إنهم لم يكونوا ينظرون إلى السكان المحليين نظرهم للإنسان بل كانوا يعدونهم أدنى حتى من الحيوانات».

A Brief Account of the Destruction of the Indies by Bartolome de las Casas (Jan 1، 2009)

فماذا فعل المسلمون في المقابل عندما حكموا بلادًا جديدة؟

حكم المسلمون الأندلس ٨ قرون:

حكم المسلمون الأندلس (أسبانيا) ٧٨١عامًا من ٧١١ م -١٤٩٢ فكانت مركزًا للحضارة العالمية ولم يرغم فيها نصراني واحد على اعتناق الإسلام، بل حفظت حقوقهم وعلت تجارتهم ومراكزهم في الدولة ورفع المسلمون الظلم الذي كان مضروبًا على اليهود قبل الفتح الإسلامي هناك، والتاريخ حافل بتلك الحقائق.

ولما انتصرت إيزابيلا وفرناندیز على المسلمين في إسبانيا، منعت كل مظاهر الإسلام، وأقيمت محاكم التفتيش لعقاب من يثبت أنه باق على إسلامه ولو في الخفاء!

وطُرد المسلمون وشردوا من ديارهم، ولكن الأمر اللافت للانتباه أنه مع طرد المسلمين من الأندلس طرد معهم اليهود فرافقوا المسلمين إلى البلاد الإسلامية حيث وجدوا المأوى الآمن والحياة الكريمة.

حكم المسلمون مصر أكثر من ١٤٠٠ عام حفظوا للأقباط مكانتهم:

حكم المسلمون مصر من بداية الإسلام عندما فتحها عمرو بن العاص أحد أصحاب رسول الله، ولم يحفظ لهم دينهم ومقدساتهم فقط، بل أنقذهم من الاضطهاد والتعذيب والحرمان الذي كان يمارسه الرومان ضدهم بسبب اختلاف المذهب مع اتفاقهم في نفس الدين.. وعادت للأقباط حرية دينهم وعباداتهم من ذلك الوقت، ويبلغ الأقباط اليوم ما يزيد عن ٥ ملايين نسمة.

حكم المسلمون الهند قرابة ألف سنة و٨٠٪ من سكان الهند غير مسلمين:

حكم المسلمون شبه القارة الهندية قرابة الألف عام فحفظوا لأهل الديانات حقوقهم وعباداتهم، ورفعوا الظلم عن الديانات المضطهدة، وجميع المؤرخين يؤكدون أنه لم ينتشر بالقوة، ولم يرغم أحد في الدخول في الإسلام.

أعظم بلاد المسلمين دخلها الإسلام بدون حرب ولا جيوش:

إندونيسيا صاحبة أكبر تجمع للمسلمين في بلد واحد، إذ يزيد عدد سكانها عن ٢٥٠ مليون، نسبة المسلمين منهم ٨٧٪، دخلها الإسلام بأخلاق التجار المسلمين في القرن السادس الهجري، ولم يصل إليها جيش واحد، ولم تعرف جريان الدم إلا بعد وصول جحافل الاستعمار البرتغالي، ثم الهولندي، ثم الإنجليزي.

بين الإسلام وواقع بعض المسلمين

ما هذا

ما هذا التناقض الرهيب؟ كلمة قد يقولها البعض إذا تعرفوا على حقيقة شرائع الإسلام التي تدعو لسمو الأخلاق والسعي لعمارة الأرض، ونفع الإنسانية، ونشر السلام بين الناس، ثم نظروا حولهم فوجدوا نماذج تنتسب إلى الإسلام بعيدة كل البعد عن ذلك.. فهل يمكن أن يكون هؤلاء أتباع الدين الحق؟

والحقيقة أن هذا أمر يدعو للحيرة، وبحاجة للتأمل الهادئ في عدد من المحاور:

- **ليس** كل من انتسب إلى الإسلام أو ولد في الإسلام يكون مسلمًا ملتزمًا بكل شعائر الدين، فهناك الكثير من القصور والانحراف عن حقيقة الإسلام وتعاليمه في كل مكان من حولنا، ومن المسلمين من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه فقط.
- **لا يمكن** بحال نسبة أخطاء الناس إلى أديانهم ومذاهبهم، فلا يمكن بحال أن يقال: إن طغيان هتلر بسبب دينه، أو أن الدين المسيحي يدعو للعنف بدليل أن هتلر كان مسيحيًا، أو أن الإلحاد يلزم منه تقتيل الناس؛ لأن جوزيف ستالين قتل عشرات الملايين وهو ملحد.. كل تلك ادعاءات بعيدة عن الموضوعية والدقة والصواب.

لا يمكن بحال نسبة أخطاء الناس إلى أديانهم ومذاهبهم.

- **هناك** نماذج شهد الجميع بروعتها وعظمتها وتطبيقها لحقيقة الإسلام، وروح السلام، والعلم والتطور التي يزخر بها التاريخ في أنحاء العالم، من بلاد الهند شرقًا إلى إسبانيا غربًا، وما زالت آثارها بادية لنا، وكانت نبراسًا وطريقًا للحضارة التي نحياها اليوم، كما توجد نماذج واعدة من الدول التي تسعى للحاق بركاب التطور اليوم، فضلًا عن النماذج الفردية المميزة في جميع مجالات العلوم وفي شتى دول العالم.

- **لا أحد** يرد الحقائق التي جاء بها علم الطب الحديث، ويمنع عن نفسه العلاج لمجرد أنه يعرف نماذج لأطباء سيئين من حوله، ولا أحد يحارب التعليم ويمنع أولاده منه لمجرد أنه يعرف مدارس، أو أساتذة أساؤوا إلى هذه المهنة الشريفة.. فالعبرة بحقيقة الأمر لا بالنماذج السيئة المنتسبة إليه.

والعجيب أنه مع هجمة التشويه العنيفة التي تمارس ضد الإسلام من بعض منتسبيه أو أعدائه، يبقى كثير من الناس قادرين على رؤية النسخة الأصلية الصحيحة النقية منه، ومازال الناس يدخلون في الإسلام من جميع بلدان العالم.

> **لا أحد يحارب التعليم ويمنع أولاده منه لمجرد أنه يعرف مدارس، أو أساتذة أساؤوا إلى هذه المهنة الشريفة.**

زاوية جديدة:

كم مرة ترددت في اتخاذ قرار واغتنام فرصة لصالحك، وما زلت حتى اليوم تلوم نفسك على ذلك التردد.

إن أعظم كرامة للإنسان هي حريته وقدرته على اتخاذ القرار الذي في مصلحته بدون خوف أو تلجلج.

وإذا كان الثبات في المواجهات وتحدي العقبات والعوائق شجاعة يمدح بها صاحبها ويُقَدَّر، فإن شجاعة اتخاذ القرار إذا رأى فيه مصلحته وشجاعة الاعتراف بالخطأ إذا ظهر له الحق واستبان أعظم من ذلك بكثير؛ لأنها شجاعة أمام النفس وانتصار على الغرور والأنا، يجد بعدها صاحبها أثر ذلك في نفسه وشخصيته.

وكما أعطيت نفسك فرصة للتعرف على ملامح الإسلام من مصادره فلا تبخل بالتفكير والتأمل فيما قرأت.

فإن كان قد ظهر لك رونق هذا الدين وجماله، وما زلت بحاجة إلى مزيد من البحث والسؤال عن حقيقة الإسلام ومزاياه، فأمامك مجال رحب للقراءة والاطلاع والحوار والسؤال، ولكن لتنظر إليه ابتداء من الآن بعين أخرى وزاوية مختلفة..

شرف لنا إتمامك لقراءة الكتاب ونأمل أن يكون قد أثار أسئلة جادة أو حفز بعض الأفكار لديك بالموافقة أو المخالفة، ويسعدنا أن نسمع رأيك أو سؤالك أو اعتراضك، ونعدك باستقبال ذلك بكل اهتمام وحرص.

للحصول على معلومات أخرى حول الإسلام:

LAUNCHING
CURIOSITY
JUST SCAN IT.!!

THISISLAM.net

شاركنا تجربتك

info@modern-guide.com